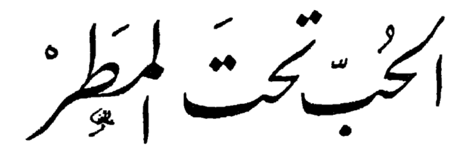

الحب تحت المطر
نجيب محفوظ

الحُبّ تحت المَطر

مطبوعات مكتبة مصر



الحب تحت المطر

تأليف

نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية
وجائزة نوبل العالمية للآداب لعام ١٩٨٨

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

- ١ -

تيار من الخلق لا ينقطع ، يتلاطم فى جميع الاتجاهات ، تند عنه أصوات من شتى الطبقات ، ويشكل فى جملته خليطا من ألوان الطيف ، سارا جنبا الى جنب صامتين ، هى فى فستان بنى قصير وشعرها الأسود يتهدل حول الرأس وفوق الجبين ، وهو بقميصه الأزرق وبنطلونه الرمادى وشعره المرسل الى اليمين ، فى عينيها نظرة عسلية مستطلعة ، وفى عينيه جحوظ خفيف ولكنه يوائم تماما أنفه الحاد المستقيم ، وبقدر ما استسلمت للمشى كان هو يتحين الفرص ، قال :

ـ الزحام لا يطاق ،

فتمتمت باسمة :

ـ ولكنه مسل للغاية ،

واعتبر ردها مناورة لطيفة ليس الا ، بل استجابة لرغبته القلبية ، وأشار بذراعه المفتولة الى كافتيريا هارون فمالت معه اليها بلا تردد ، ومضيا الى الحديقة الخلفية فاختارا مجلسا شبه خال تحت تكعيبة اللبلاب ، وتفحصا المكان ، وتبادلا نظرات ، استشعر دون شكاية حرارة الجو المشبعة بالرطوبة ، وطلب قدحين من شراب الليمون ، وكان يتوثب للكلام فيما يهمه

ولكنه قال لنفسه فليأت الكلام في وقته وبطريقة عفوية فهذا أفضل • قال :

ــ مضى عهد الجامعة كحلم •

فقالت تكمل جملته :

ــ بمتاعبه ومسراته •

ــ وما هى الا أشهر حتى يتسلم كل منا وظيفته •

فأحنت رأسها بالايجاب ثم تساءلت :

ــ ولكن الى أين تمضى الدنيا ؟

هذا السؤال الذى يرتطم به فى كل مكان وزمان • الى أين ؟ حرب أم سلام ؟ • وطوفان الشائعات ؟ •

ــ لتمض الى حيث تشاء •

وشربا الليمون حتى دمعت عيناهما ثم سألها :

ــ وما أخبار أخيك ابراهيم ؟

ــ بخير ، رسائله قليلة ، ولكنه يجىء من الجبهة مرة كل شهر ••

وكأنما أرادت أن تعتذر عنه فقالت :

ــ مرزوق •• لو لم تكن وحيد أبويك لاستدعيت مثله الى الجندية ••

فلم يعلق بحرف • واستسلما معا للصمت • وعاوده التوثب للكلام فى موضوعه فقال ضاحكا :

ـ لا يجوز أن نضفى البراءة على اجتماعنا أكثر من ذلك ..

فلعبت فى عينيها نظرة مرحة وقالت :

ـ اذن فاجتماعنا برىء !

فقال بجدية :

ـ أعنى الموضوع الذى حدثتك عنه أختى سنية ..

فقالت بحذر :

ـ لا تنقصك الصديقات فيما أعلم ؟

فقال بجدية أكثر :

ـ نحن نتحرك بدافع اللهو أكثر ثم يجىء وقت فلا يقنعنا الا الحب الحقيقى ..

ـ الحقيقى ؟

ـ هذا ما أعنيه.تماما يا عليات ..

فترددت قليلا ثم تساءلت :

ـ ألا يعد الزواج فى حالتك سابقا لأوانه ؟

فقال بازدراء :

ـ ذلك من كلام السلف ولكن لا أهمية للوقت ما دمنا نسيطر على مصيرنا ..

فسألته باهتمام :

ـ وهل أنت واثق من مشاعرك ؟

فرمقها بحنان وهو يقول :

ـ من عيوبى الجوهرية أننى لا أحسن التعبير عن مشاعرى ، كم مرة التقينا ؟ ، ومع ذلك فلم أنوه بجمالك أو ثقافتك مرة واحدة !

ولما لم تنبس سألها بحرارة :

ـ لم لا تتكلمين ؟

فقالت وهى تتنهد

ـ لا أدرى ، كأننى خائفة ..

فقال برقة :

ـ الحق أنى أحبك كأعز شىء فى الدنيا .

فغمغمت باسمة :

ـ هذا أفضل ..

فضحك بسرور وقال :

ـ عندى ما هو أجمل ..

واعترفت قائلة :

ـ والحق أنى لم أكن سلبية فى المعركة وأنت تعلم ذاك ..

فاستخفه الطرب وقال :

ـ اعتبرينى مجنونا بك !

فخفضت بصرها وهمست :

ـ وأنا سعيدة كما يجدر بانسان يبادلك مشاعرك ..

فاجتاحه السرور والالهام وقال :

ــ ما كان أحب الى أن أتلقى هذه السـعادة فى مكان لا يشاركنا فيه أحد .

وضحكا معا . وصمتا وهما يتبادلان النظرات . واقترح عليها الذهاب الى حديقة ما . وقاما وهى تقول :

ــ لا تنس أنه توجد فى الطريق متاعب !

فهز منكبيه قائلا :

أعتقد أنها متاعب لا تذكر بالقياس الى متاعب العالم !

ــ ٢ ــ

انتصف الليل فخلت مقهى الانشراح بشارع الشيخ قمر من زبائنها . لم يبق من عمالها الا عم عبده بدران النادل وعشماوى ماسح الأحذية . ومضى عشماوى بهيكله الضخم الخاوى الى الخارج فجلس القرفصاء جنب مدخل المقهى ينظر الى لا شىء بعينيه العمشاوين . أما عم عبده فاقتعد كرسيا وسط المدخل وأشعل سيجارة . وبعد ربع ساعة مرقت سيارة مارسيدس بيضاء أمام المقهى ثم وقفت على مبعدة يسيرة لضق الطوار فرفع عشماوى رأسه نحوها وهو يقول :

ــ الأستاذ حسنى حجازى .

وقام عم عبده بدران ليستقبل القادم الذى أقبـل بجسمه الطويل النحيل ورأسه الضخم رافلا فى بدلة بيضاء آية فى

الأناقة . حيا الرجلين باسميهما واتخذ مجلسه على حين مضى عم عبده ليجيئه بالنارجيلة وزحف عشماوى ناحيته ليمسح حذاءه . ولأن حسنى حجازى هو زبون ما بعد منتصف الليل الوحيد ــ كلما سمح له الوقت ــ فقد نشأت بينه وبين الرجلين علاقة حميمة وحوار متبادل . والحق أنه يأنس الى وقار عم عبده ــ فى الستين من عمره ــ ويعجب ببذلة عمله العتيقة وصلعته المستديرة الضاربة للاحمرار ، ونظرة عينيه الثقيلة الطيبة . وأيضا فهو يعجب كثيرا بعشماوى الذى لا يعرف له سن وان قدره بما بين السبعين والثمانين ، ويثيره منظر هيكله الضخم الخاوى كحفرة متبقية من زمن الفتونة ، ويحيى بكل اجلال صموده فى معترك الحياة رغم هوان الصحة والسمع والنظر وزوال المجد . وكان عم عبده يعنى بنارجيلة الأستاذ عناية خاصة . لا من أجل البقشيش فحسب ، ولكن لعلمه بأنها السر وراء زيارات الأستاذ للانشراح بالاضافة الى حنينه الى مسقط رأسه بشارع الشيخ قمر . والأستاذ حسنى فى الخمسين ولكنه يفيض بحيوية عجيبة ولم تشب له شعرة واحدة ، ويبدو أنه يسعد حقيقة بوجوده فى المقهى المتواضع بين صاحبيه وفى مناجاته الطويلة مع النارجيلة . وكالعادة بدأ الحديث بتبادل النيران فى الجبهة ، وتساؤلات عن الغد القريب والبعيد ، وكلمات رقيقة بقصد الاطمئنان عن ابراهيم ابن عم

عبده وغيره من المجندين من أهل درب الحلة موطن عشماوى •
وكان يعتبر عشماوى نموذجا لجماهير غفيرة لا يتـاح له الاتصال بها هى المتحمسة حقا للقتال بلا قيد ولا شرط ، وبلا خوف ، وبلا اكتراث للعواقب • وقال لنفسه علام يخافون وهم لا يملكون الا الكرامة والأسطورة • وقال لنفسه أيضا ان المعذبين حقا هم الوطنيون الصادقون • ولما فرغ عشماوى من مسح الحذاء اقترب عم عبده بدران من مجلس الأستاذ ومال نحوه قليلا وهو يقول :

ــ عليات ابنتى طلب يدها شاب من زملائها •

فانبعث فى صدر الأستاذ اهتمام حقيقى وقال :

ــ مبارك يا عم عبده •

فقال برضى وفى غير ما حماس :

ــ الستر مطلوب ولكن العريس ــ مثلها ــ لم يتوظف بعـد !

ــ هكذا تجرى الأمور فى هذه الأيام •

ــ ولكنى رجل مثقل بالأعباء والابن الوحيد الذى أتم دراسته مجند فى الجبهة كما تعلم •

فقال حسنى حجازى بثقة :

ــ ابنتك متعلمة وهى تدرك ذلك كله ، وماذا يقـال عن العريس ؟

فقال الرجل بامتعاض :

ــ على الحديدة • حال أبيه كحالى ، وهو كاتب فى محل تجارى ••

ــ جند ؟

ــ معفى لأنه وحيد أبويه •

ثم مستدركا :

ــ بقية ذريته بنات واحداهن زميلة وصديقة حميمة لعليات.

وهنىء الأستاذ ملبا بتدخين النارجيلة ومضى يقول لنفسه ان العادل الطيب يعيش أيضا فى أسطورة ، وأن الحقيقة خليقة بأن تصعقه ، وأن أخلاقنا غير حقيقية وهى تقوم على الريح • وقال لعم عبده :

ــ توجد فتيات ذكيات ، يفضلن الاقتران بالكهول الأغنياء طلبا للاستقرار فى الحياة ••

فهز الرجل رأسه فى حيرة وقال :

ــ لا أدرى •

ــ على أى حال فان كريمتك ليست واحدة منهن •

ــ ربنا معها •

فقال الأستاذ حسنن وهو يدارى بسمة ساخرة :

ــ آمين •

فقال عم عبده بدران بحماس طارىء :



فضحك حسنى حجازى وقال : جيل يستحق التحية والاكبار

ـــ عليات فتاة عالية الهمة ، سعت الى الرزق حتى وهى طالبة ، واكتسبت نقودا لا بأس بها من الترجمة فاستطاعت أن تظهر فى الجامعة بالمظهر اللائق الذى لم يكن فى مقدورى توفيره لها ..

ـــ فتاة عالية الهمة حقا ..

ـــ ولكن هل ادخرت من النقود ما يكفى لتجهيز ولو حجرة واحدة ؟

ـــ هذه هى المسألة ..

ـــ أما هى فلا يهمها ذلك على الاطلاق ..

فضحك حسنى حجازى وقال :

ـــ جيل يستحق التحية والاكبار .

وسرحت خواطره الى شقته الأنيقة بشارع شريف فقال لنفسه بأن الصراع الحقيقى فى هذه الحياة هو ما يقوم بين الحقائق والأساطير . وقال له عم عبده :

ـــ سعادتك لم تفكر فى الزواج أبدا .. ؟

ـــ أبدا .

ثم أشار اليه بسبابته محذرا وقال :

ـــ ولم أندم على ذلك قط .

وتذكر كيف سأله صحفى فى ريبورتاج عابر بالاستديو

ــ ضمن مجموعة من العاملين فى فيلم ــ سأله عن فلسفته فى الحياة ، وكيف بهت ولم يحر جوابا •

ــ ولكن أهو حقا بلا فلسفة ؟!

ــ ٣ ــ

ثمينة جدا الساعات القلائل التى يقضيها ابراهيم عبده في القاهرة • تأبطت شقيقته عليات ذراعه وهو فى بذلته العسكرية ومضيا يشقان الطريق وسط خضم هائل من البشر تحت فيض متدفق من الأضواء • وكان يشبهها لدرجة محسوسة ، بعينيه العسليتين خاصة ، ورغم ما يأنفه من فطس خفيف وما فى شفتيه من دسامة ، وما فى بنيانه من متانة • وكان يلتهم كل شىء بحواسه ، ويتلقى سيلا متواصلا من المشاعر ، ويدخل أحيانا فى وجود غريب عابر بين الواقع والحلم ، أو يتردد مع حواطره بين الواقع والحلم • وسألته أخته :

ــ كيف تجد الليلة صدمة الانتقال من باطن الأرض المزلزلة بالانفجارات الى دنيا القاهرة الثملة بالصخب ؟

وكانت تستعيد كلماته القديمة بالحرف ، ولكنه أجاب بلا اكتراث :ــ

ـ أصبحت عادة •

ـ وامتعاضك العتيد ؟

فأجاب بنفس اللهجة :

ـ أصبح عادة أيضا •

ثم وهو يبتسم :

ـ الموت نفسه أصبح عادة يومية •

فسألته برقة وهى تتفادى من شاب ينطلق كالصاروخ :

ـ كيف تريد لنا أن نعيش ؟

ـ لا أريد تغيير نظام الكون ، أريد فقط أن أشعر بأننى أستقبل بين أصدقائى استقبال العائد من جبهة مشتعلة فى سبيل الدفاع عن الوطن •

فلاذت بالصمت فمضى وهو يقول :

ـ لا أعنى تكريما أو هتـافا . أطمع فقط فى شىء من الاهتمام والجدية •

ـ ولكن لا حديث للناس الا الحرب !

ـ •• دون المستوى المطلوب ••

فقال بعد تردد :

ـ لهم بعض العذر !

ـ اللعنة •• مهما كان ؛ مهما يكن ، فالموت شىء حقيقى ••

فضغطت على ذراعه وقالت :

ــ لا تسمح لشىء بأن يفسد عليك ساعة طيبة ..
ــ نتناول بعض الشطائر ثم نذهب الى السينما .
فلم يعارض ولكنه قال :
ــ غريب أننى لم أعرف خطيبك مرزوق من قبل ..
ــ ألا يعجبك ؟
ــ شكله لطيف ولكن أخته ألطف !
فنظرت اليه باهتمام وهما يقفان فى ظل عنــد مشرب قهوة على الناصية وتساءلت :
ــ سنية ؟
ــ أجل : أظنها صديقتك ؟
ــ جدا : سبقتنى بعام ، وهى موظفة بالاصلاح الزراعى . الظاهر أنها أعجبتك ؟
فقال بيقين :
ــ جدا ..
فضحكت عليات وتساءلت :
ــ حب من أول نظرة ؟
فقال ضاحكا :
ــ أعتقد أنى نلت منها مائة نظرة ..
ــ كل ذلك من وراء ظهورنا ؟
ــ المهم ..

ولما سكت تساءلت :

ـــ المهم ؟

ـــ أهى لائقة كزوجة ؟

ـــ ما شروط اللياقة فى نظرك ؟

ـــ نحن كما تعلمين أسرة محافظة !

ـــ أعترف بأنك متشبع جدا بأبى •

ـــ تهمنى الأخلاق •

فلفتته الى اعلان سينمائى فاضح يوشك أن يكون مضاجعة وقالت محذرة :

ـــ اخفض صوتك ••

ـــ أنت نفسك محافظة فى الناحية الأخلاقية على الأقل ••

ـــ أشكر لك حسن ظنك ••

ـــ والآن خبرينى ؟

فقالت بضيق :

ـــ ما أعرفه عنها يشهد بأنها ممتازة •

ـــ لا أحب أن أقلق •

فضحكت ولكنها قالت بعطف :

ـــ لا يجوز أن يقلق جندى لأسباب تجبئه من المدينة !

وانطفأت الأنوار بغتة كأنما ماتت بسكتة فغرق الطريق فى ظلام دامس • وهللت هتافات شابة مهرجة فى عبث ومجون ،

وصرصرت آلات التنبيه بالسيارات • توترت أعصاب ابراهيم ،
واجتاح رأسه أصداء أوامر خاطفة بالاستعداد والقبوع فى
المواقع ؛ ولكن جاءه صوت عليات ناعما وهى تقول :

ـ تنطفىء الأنوار كثيرا لأسباب مجهولة •

فاسترد راحته ، وقبض على يدها فتراجع بهـا حتى لامس
ظهراهما جدار المشرب ، وسألها :

ـ أيطول ذلك ؟

ـ من دقيقة لساعة • وأنت وحظك !

وسرعان ما ألفت عيناه الظلام فرجع يسألها :

ـ تتصحبيننى ؟

ـ ننتظر حتى يعود النور •

ـ أعنى سنية !

فضحكت قائلة :

ـ سنية ! •• تزوجها ان كنت تحبها ••

ـ الحب ليس المشكلة !

فسألته ساخرة :

ـ بم نحكم عليك لو أخذنا بماضيك ؟

ـ ليس الرجل كالمرأة !

فضربت الأرض بقدمها غيظا ولكنها لم تتبس ، فعاد يقول :

ـ لا تريدين أن تعطينى رأيا قاطعا ••

فقالت بحدة :

ـ قلت انها ممتازة فتزوجها ان كنت تحبها .

ـ سأقابلها صباح الغد .

فضحكت عليات وتساءلت :

ـ لماذا يطفئون الأنوار اذا كانت أمهر المؤامرات تدبر فى رابعة النهار ؟ !

ـ ٤ ـ

لم يكن الجو شـديد الحرارة ولكن أشعة الشمس تدفقت حامية لاسعة ، وترامت تحت دفقاتها حديقة الأسماك عارية أو شبه عارية . وكانا أول قادمين . تمشيا بلا هدف وابراهيم يقول لنفسه : مثل آدم وحواء ، مثل آدم وحواء قبل الخطيئة ، وابتسم لخواطره وهو لا يدرى فضبطت سنية ابتسـامته وسألته بحياء :

ـ ترى ماذا يضحكك ؟

فارتبك ثانيا ولكنه قال :

ـ لأنى سعيد !

وبسط راحتيه لأشعة الشمس وقال :

ــ يوجد مجلس تحت الجبلاية •

وذهبا صـــوب الجبـــلاية تفعم أنفيهما رائحة نباتية تزفرها الأعشاب المخضلة برشاش الماء • وكانت متوسطة القامة أو دون ذلك بقليل فلم تجاوز قمة رأسها الكستنائى منكبه ولكنها كانت متناسقة التكوين وذات عينين خضراوين صافيتين • وجلسا متجاورين فوق أريكة من جذع النخيل • قال :

ــ حضورك منة عظيمة •

فقالت ببساطة :

ــ لسنا غرباء فنحن أسرة واحدة •

وأضـــفى القبو على الجو قتامة ، وجرت فى ثناياه نسمة رطيبة كحال الأماكن التى لا تزورها الشمس • وكانت أعينهما تكلمت كثيرا أمس ثم يشعرا فى جلستهما بغربة مطلقة • ولاحظ أنها تنظر الى بدلته العسكرية بحب استطلاع فسألها :

ــ ليس لك أهل مجندون ؟

فهزت رأسها بالنفى فقال :

ــ انها لا تمنع من التفكير فى المستقبل كأننا نعيش أبدا !

فقالت بعذوبة وحرارة :

ــ الأعمار بيد الله وحده •

فابتسم فى تسليم وارتياح • وقال لنفسه لا يمكن اقتحام الموضوع بلا تمهيد ، ولا يجوز ــ فى ذات الوقت ــ أن يطول

التمهيد ما دامت فرصة اللقاء لن تتجدد قبل شهر كامل ان وجدت أصلا ! • ولعلها حامت حول الأفكار نفسها ولكنها وجدت مخرجا فقالت :

ــ الحياة هناك شاقة بلا شك ؟

وامتن لسماع ملاحظتها التى لا يسمعها عادة بعيدا عن نطاق أسرته فقال :

ــ فوق ما تتصورين !

ــ وكيف تتحملونها ؟

فقال بصدق :

ــ أصبحت أومن بأن الانسان يستطيع أن يعيش فى الجحيم نفسها وأن يألفها فى النهاية •

ثم نظر اليها باهتمام وقال :

ــ ولا يمنعه ذلك من التطلع الى النعيم والسعادة •

فابتسمت ، وتورد وجهها القمحى ، وتبدت سعيدة ، فقال لنفسه انها ليست طفلة ولا ممثلة ولكنها قوية الشخصية والأخلاق ، وسألته :

ــ ترى هل تقوم الحرب من جديد ؟

فقال وكأنه لم يسمع سؤالها :

ــ علمت أنك غير مخطوبة !

ــ اذن فأنت تجرى على تحريات !

ــ لنا صديق مشترك ، عليات ••

ــ ولم تشغل بالك بما لا يهمك ؟

ــ وهنأتنى على اعجابى بك •

ــ حقا ؟

فقال بلهجة ذات مغزى :

ــ وتمنت لى السعادة والتوفيق ••

ومرت فترة صمت مفعمة بالرضى • واعتقد أنه اجتاز خطا هاما ، وأنه اجتازه بنجاح ، وأنه لم يضع دقيقة من وقته الغالى سدى • وقررت هى التهرب من نظراته فسألته ·

ــ لم تجبنى على سؤالى هل تقوم الحرب من جديد ؟

فقال وهو نشوان بعواطفه :

ــ تحدثت عن أشياء يقينية مثل اعجابى بك •

ــ ولكنك لا تعرف عنى شيئا ••

ــ القلب يعرف أكثر ما يتصور العقل •

فغمغمت ولكنه لم يسمع فسألها :

ــ ماذا تقولين ؟ ، أنت لم تتكلمى بعد !

فقالت ببساطة وصراحة وبنبرة غير ملعثمة :

ــ أنا سعيدة !

فتجلت فى عينيه نظرة ممتنة ، وتناول يدها بين يديه بحرارة وقال :

ــ فى المرة القادمة سنخطو خطوة حاسمة ، وحتى يجىء ذلك الوقت سأحيا حياة غنية وجديدة رغم كل شىء ..

ــ حفظك الله من كل شىء ..

فقال بسرور :

ــ كسبت قلبا جديدا سيشعر بنا على نحو ما .

وتفكرت فيما يعنيه ، وفطن هو الى ما تفكر فيه فقال :

ــ يخيل الى أن أحدا لا يشعر بنا سوى أهلنا !

فارتبكت ، ثم قالت كالمعتذرة :

ــ انها تجربة جديدة علينا ، هذا هو الواقع ، ولكن ماذا عما يجب أن يكون ؟ .. ومن رأى الأستاذ حسنى أنها سياسة مرسومة ..

ــ من الأستاذ حسنى ؟

ــ موظف كبير فى قسمنا بالمصلحة ..

ــ وماذا يعنى ؟

ــ يعنى أنهم لا يريدون تعبئة الشعب للحرب الا قبيل دخول المعركة .

ــ الحق أنى لا أفهم !

ــ ولا أنا ، ولا يدعى أحد بأنه يفهم ، هل ستقوم الحرب من جديد ؟ !

ــ فى الجبهة نؤمن بذلك .

ـ هنا لا نكاد نصدق !

ـ كيف ترون الأمر ؟

ـ ممكن أن تسمع كافة المتناقضات ..

فضحك ابراهيم وقال :

ـ انكم تودون أن تجدوا النصر يوما ضمن أخبـار الصحف ..

وضحكت . وبالضحك أفلتا من حصـار القلق فعادا الى موعدهما تحت الجبلاية . وتبادلا نظرة اعتذار طويلة وحنونة .

ـ ٥ ـ

قام حسنى حجـازى من مجلسه فوق الكنبة الاستديو . انطلقت قامته الطويلة وسط حجرة الجلوس كالمارد . فى شقته يجد راحة شاملة واحساسا بالسيطرة على كل شىء . الدواوين والمقاعد تصلح للاضطجاع كما تصلح للجلوس . وأجهزة التسلية قائمة بالأركان وسط تهـاويل الديكور . والتحف مصفوفة فوق الأرفف عارضة ألوانا من فنون اليابان وخان الخليلى . من أعماقه يشعر بأنها توثق علاقته بالدنيا وتدفع عنه غوائل الفناء . مضى الى البار فملأ كأسين من الكوكتيل الذى

ريعده بيده بخبرة وأناة ثم رجع الى وسط الحجرة فوضع كأسا فوق ذراع فوتيل على بعد قيراط من يد سنية • ولبث واقفا ثم حرك كأسه قائلا :

ــ فى صحتك ••

وأفرغ كأسه ثم قال :

ــ لم يعد غريبا على هذه الحجرة أن تشهد وداع الأحبة ••

فقالت سنية :

ــ أنت رجل كريم ، فى الحياة والحب ••

فقال متظاهرا بالاهتمام :

ــ من حسن الحظ أنى حصلت أخيرا على فيلم ممتاز لا تقل مدة عرضه عن ربع ساعة ••

فابتسمت سنية ولكن بلا حماس • وتذكرت كيف صرخت عند رؤية المشهد الأول من أول فيلم • كان ذلك منذ سنوات وكانت طالبة بالجامعة أو تلميذة بالثانوية • وكانت المفاجأة بالغة الاثارة والرعب • وقال بأسف :

ــ عليات انتهت ؛ خسارة فادحة ••

ــ انها مخطوبة وتستعد للحياة الزوجية ، ماذا تتوقع ؟

فقال فى دعابة :

ــ لا بأس من اباحة اللهو حتى الزفاف ••

فرمقته بعينيها الخضراوين وقالت بلهجة ذات معنى :

ــ فكرة الزواج تخنق المرأة من جديد ..

ــ كم من متزوجات ! ...

فقاطعته :

ــ هذا موضوع آخر .

ثم وهى تضحك :

ــ ألا تريد للحب أن يحترم يوما أو بعض يوم ؟ !

ــ حاولت اقناعها ..

ــ أهى مهمة حقا عندك ؟

ــ العشرة عندى غالية دائما ..

فضحكت ساخرة هذه المرة وقالت :

ــ يخيل الى كثيرا أن جميع النساء اللاتى يمررن من شارع شريف أنهن ذاهبات الى شقتك أو راجعات منها ..

فقهقه حسنى حجازى وقال :

ــ جاجدة من تحدثها نفسها بالسخرية من هذه الشقة .

ــ أنت ترى أننى جئت بكل احترام لأودعها .

فهتف باسما :

ــ حتى أنت يا سنية !

فقالت بسرور :

ــ جاء دورى يا قيصر .

ــ حدثنى عنه أبوه ، أنه جندى ، أليس كذاك ؟

ـ بلى .

ـ أقرأ فى وجهك الرضى .

ـ شاب لطيف وجذاب .

ـ وهكذا قررت هجر العش كصديقتك عليات !

ـ انى أحب من يرغب فى الزواج منى !

وقال لنفسه ان المرأة مثال الحكمة وأنها المخلوق الوحيد الذى يستحق أن يعبد ، ولكنه قال لها مداعبا :

ـ اذن فهى المصلحة ..

فقالت بعجلة واهتمام :

ـ لقد أحببته ، صدقنى ..

ـ أنت مصدقة ولكنى سآسف كثيرا لغيابك .

ـ لن تذوق فى هذه الشقة الوحدة أبدا ..

ـ ولكنها مكان عبور ليس الا ..

ـ انه شعار يصلح لأى مكان ..

فتراجع الى الكنبة الاستديو ثم جلس . أغمض عينيه قليلا ثم قال

ـ زرت الجبهة أخيرا ضمن وفد المصـــورين السينمائيين ، والتقطت صـــورا لبورسعيد شبه الخالية . هل سبق لك أن شاهدت مدينة خالية ؟

ـ كلا .

ـــ كالحلم المرعب !

ـــ زرت بورسعيد يوما واحدا قبل الحرب .

ـــ أما أنا فعشت فيها ثلاثة أسابيع ونحن نصـــور فيلم « فتاة فلسطين » منذ أعوام ، وهى تعيش وتنام كالمدن ، ولكنها تصحو فى أى ساعة من الليل لدى وصول أى سفينة ، وسرعان ما تخلق فيها الحياة بقوة وسرعة فتدب الحركة وتشع الأنوار وترتفع الحرارة ، وفى الأماسى تترامى من جنبات الميناء أغانى شعبية غاية فى الفتنة ..

ـــ ووجدتها شبه خالية ؟

ـــ ولم تمس بسوء بخلاف المدن الأخرى .

وصمتت قليلا ثم ساءلت نفسها :

ـــ ترى هل تقوم الحرب من جديد ؟

فهز رأسه قائلا :

ـــ لن يتهيأ ذلك فى القريب ، ولن يشجعنا أحد عليه ، ولكن الصمود يوفر لنا أطيب شروط عقب هزيمة يونيو ..

ـــ الجنود يريدون الحرب ..

ـــ هذا طبيعى ، وكذلك الجماهير ، أما نحن فلا ندرى ماذا نريد ..

وتأوه قائلا :

ـــ آه يا وطنى العزيز !

فقالت بمرارة :

ــ أما نحن فكفرنا بكل شىء ..

ــ أنتم أبناء الثورة وعليكم أن تحلوا مشاكلكم معها ..

ثم سألها مغيرا نبرته :

ــ كأس أخرى ؟

فهزت رأسها نفيا فقال :

ــ قلت انى حصلت على فيلم ممتاز !

فتساءلت ضاحكة :

ــ أتذكر فيلم القسيس وبائعة الخبز ؟

ــ هذا عن المرأتين ورجل ، ثم ينقض عليهم رجل غريب جديد !

فسألته :

ــ لم لا تتزوج قبل أن يفوتك القطار ؟

ــ ولكنه فاتنى يا عزيزتى .

ــ توجد زوجة مناسبة دائما ..

ــ تكلمى بخير والا فاسكتى ..

فسألته بجرأة :

ــ هل تحترم حياتك ؟

ــ لم أفكر فى تقييمها بعد !

فقالت بامتعاض :

ـ ما يؤلمنى أحيانا أننى سلمت ابتغاء شراء أشياء ، وان تكن ضرورية ..

فقال لها بعطف :

ـ المجتمع يقوم على الأخذ والعطاء فلا تتألمى ..

فضربت الأرض بقدمها الصغيرة وتساءلت :

ـ متى نرى الفيلم الجديد ؟ !

- ٦ -

وخيم الهدوء الشامل على مقهى الانشراح فلم يند عنه الا قرقرة النارجيلة المتقطعة . وكان عشماوى يتناول عشاءه ـ رغيفا وطعمية ـ عند الباب ، أما عبده بدران فجلس على مبعدة يسيرة من حسنى حجازى متحفزا للحديث أو لتقديم أى خدمة . وتساءل حسنى حجازى فى نفسه كيف يواجه رجل مثل عبده بدران أعباء الحياة الفاحشة الغلاء بأسرته الكبيرة ؟ . كيف تتوازن ميزانيته المحدودة ولو اقتصر الطعام على الخبز ، والكساء على مخلفات سوق الكانتو ، والمسكن على بدروم ؟. وأولاده مع ذلك تلاميذ فى المدارس ، واثنان منهم ـ ابراهيم وعليات ـ أتما تعليمهما الجامعى ، فأى معجزة تمارس فى غفلة من

المؤمنين ! • وقال ان ما ينفقه فى ليلة يكفى لاعالة أسرة بضعه شهور ، ومع ذلك فهو لا يخلو من تذمر ، واذا مر شهران دون عمل فى فيلم طويل أو قصير تولاه القلق فماذا يكمن وراء نظرة عم بدران الثقيلة الهادئة ؟!• وأقنعته عليات بأنها تحافظ على المظهر اللائق بفتاة جامعية بفضل النقود التى تربحها من الترجمة فصدق الرجل الطيب ، ولم يخطر بباله أن نقوده هو ضمن النقود التى تسهم فى تربية كريمته ! ، آه •• يوم عرف عليات عرف أنها كريمة عم بدران ، وداخله قلق ، وشىء من مناقشة الضمير ، ولكنه قتل وساوسة بعقله البارد • وقال انه لا يؤمن بذلك كله • ولم يتزعزع احترامه لعليات • وقال عليهم اللعنة فهم يقبلون الضيم والظلم والاستعباد وينقلبون أسودا فاتكة فى وجه الحب واللهو •

وهم أن يسأل عم عبده كيف يواجه الحياة ، ولكنه سرعان ما أقلع عن فكرته خشية أن يفسد عليه هدوء جلسة نصف الليل أو أن يشجعه سؤاله على استجداء مساعدة أو طلب سلفة • ولما طال صمت الأستاذ قال عم عبده بدران :

ــ تمت خطبة ابراهيم وسنية أخت مرزوق •

علم بذلك فى حينه فأتحف العروس بهبـــة مالية كما أتحف عليات من قبل • ولكنه قال :

ــ ايحفظ الله العريس ويسعد العروس •

ــ ناس طيبون وعلى قد حالهم مثلنا وهى موظفة بالاصلاح الزراعى !

فجاء صوت عشماوى من عند الباب قائلا :

ــ لا تعجبنى المرأة الموظفة !

فقال له عم عبده بدران :

ــ جميع بنـــات درب الحلة تلميذات والـــكبار منهن موظفات ..

فقال العجوز بسخرية :

ــ ولو !

ــ لو كانت لك بنت لتغير رأيك ..

فقال بفخار :

ــ أنجبت أربعة كلهم ذكور ..

واكن حسنن حجازى يسمع لأول مرة عن أبناء عشماوى فسأله :

ــ ماذا يعملون يا عشماوى ؟

ــ اثنان بين الخمسين والستين فى المذبح ..

ثم بفتور :

ــ الثالث قتل تحت الترام ، والرابع فى السجن !

وصمتوا دقيقة اعرابا عن التأثر والتأمل ثم سأل الأستاذ حسنى عم عبده ·

ـــ وهل يتزوج ابراهيم فى أول فرصه أو يؤجل ذلك لوقت السلم ؟

ـــ هذا شأنه ، أنا أتمنى أن يتزوج اليوم قبل الغد ؛ ولكن متى تنتهى الحرب ؟

ـــ من يدرى يا عم عبده ..

ـــ حقا من يدرى ، انهم يعانون معاناة الأبطال ..

ـــ هذا حق .

ـــ ومع ذلك فلا يهتم بهم أحد ..

ـــ كلا ، ليس هذا صحيحا ، المسألة أن الناس لم يتخلصوا بعد من مرارة الهزيمة ..

وجذب حديث الحرب عشماوى من الخارج الى الداخل فجاء بهيكله الضخم وهو يقول :

ـــ ولكن الله سينصرنا فى النهاية ..

فقال حسنى حجازى :

ـــ قل ان شاء الله .

فقال عشماوى :

ـــ كل شىء بمشيئته ، لابد أن نهزمهم والا فقل على الدنيا السلام .

فسأله حسنى :

ـــ واذا انتهى الموقف بحل سامى ؟

فهتف العجوز الأعمش

ـ أعوذ بالله .

وأراد أن يدلل على قدرة الله فقال :

ـ ربك كبير ، أتصدق أننى ضاجعت الولية ليلة أمس مرتين ؟

فذهل الأستاذ حسنى وهتف :

ـ مرتين ؟ !

ـ وحق كتاب الله !

ـ عوفيت .. عوفيت يا عشماوى ..

ـ فلا تيأسوا من رحمة الله ..

وضحك حسنى عاليا ، ونظر صوب عبده بدران فأحنى رأسه مصدقا ! . وعاد عشماوى يقول :

ـ لم حصل ما حصل ؟ .. لأننا خسرنا الدين والأخلاق !

وقال حسنى لنفسه : ولكن ما الأخـلاق ؟ .. أزمتكم الحقيقية أنكم فى حاجة الى أخلاق جديدة !

- ٧ -

اكتظت ناصية الأمريكين فلا موضع لقدم . تلاصق الشبان تحت الأضواء وانحصر المارة بين الأجسام الحارة الفتية . وقل الكلام أو انعدم وحملقت الأعين وتحركت بعض السيقان بالرقص الخفيف . وثار سالك بحريمه فى عباب الزحام غضبا لكرامته الشخصية فيما بدا وصاح :

ـ اخجلوا من أنفسكم ، واذهبوا الى الجبهة ان كنتم رجالا ..

ولم يخجل أحد فيما بدا أيضا . وتساءل صوت :

ـ لم يريد أن يرسلنا الى الجبهة قبل الأوان ؟

وقال صوت آخر ساخرا :

ـ لعله يظن أنهم يرسلون النساء والكهول !

وشبعت شلة من وقفتها فانسحبت من معسكرها ومضت الى « جنيفا » فتجمعوا حول بضع زجاجات من البيرة . وجعلوا يشربون ويتكلمون كما يحلو لهم . وغالبا بلا ضابط ولا نظام ، غير أن مرزوق أنور تولى مهمة ملء الأقداح وتوزيعها .

ـــ مشكلة الجنس فى ...

قاطعه :

ـــ فى الجبهة مشكلة أهم .

ـــ انما أتكلم عن المشكلات الداخلية .

ـــ دعه يتكلم ، المقاطعة ممنوعة .

ـــ حدثنى أحد الكبار فقال انه كان يوجد على أيامهم بغاء رسمى .

ـــ زماننا أفضل فالجنس فيه كالهواء والماء !

ـــ الماء لا يصل الى الأدوار العليا .

ـــ ولكنه يصل الى الأدوار السفلى !

ـــ ليس كالهواء والماء فالبنات تعلمن الاستغلال .

ـــ انها ضرورات العصر .

ـــ البراءة تنهزم أمام السيارة مثلا .

ـــ توجد دائما فرص طيبة .

ـــ كما توجد الباصات .

ـــ وحفلات الساعة الثالثة فى السينما .

ـــ لا أهمية لذلك ، المهم هل الله موجود ؟

ـــ ولم تريد أن تعرف ؟

ـــ كان شغلنا الشاغل الوحدة العربية والوحدة الافريقية .

ــ وما دخل ذلك فى وجود الله ؟
ــ أصبح شغلنا الشاغل متى وكيف نزيل اثار العدوان •
ــ معى دقيقة واحدة ، أهو موجود ؟
ــ كانت أياما مجيدة •
ــ كانت حلما •
ــ بل كانت وهما •
ــ ويضيقون بوقوفنا دقائق فى الناصية !
ــ الكلاب !
ــ اذا قدر لليهود أن يخرجوا فمن سيخرجهم غيرنا ؟
ــ من يقتل كل يوم غيرنا ؟
ــ ومن قتل عام ١٩٥٦ ؟ ، من قتل فى اليمن ؟ ، من قتل عام ١٩٦٧ ؟
ــ يظن العجوز أن المحافظة على بنت نصف عارية هى كل شىء ••
ــ علينا أن نبدأ من الصفر ••
ــ أن تزاح عن صدورنا الكوابيس •
ــ لا أحد يريد أن يجيبنى ، أهو موجود ؟
ــ طيب يا أخى ، اذا حكمنا بالفوضى الضاربة فى كل مكان فلا يجوز أن يوجد !
ــ أليس من الجائز أنه يملك ولا يحكم ؟

ــ يكفى أن يكون المصريون من عباده لكى يملك ويحكم !
ــ أأنت شارع فى الزواج حقا ؟
ــ نعم . خذ قدحك ..
ــ لماذا ؟
ــ لأنى أحب .
ــ وما العلاقة بين هذا وذاك ؟
ــ يجب أن نفعل شيئا على أى حال .
ــ بماذا نفسر تفشى الزواج المبكر بين الشبان ؟
ــ بالفقر !
ــ بالموت !
ــ بنظام الحكم !
ــ سنضطر الى الوقوف غدا من شدة الزحام .
ــ أليس من الأفضل أن نهاجر بدلا من أن نتزوج ؟
ــ الزواج هجرة داخلية .
ــ الحق أنه يلزمنا شىء من انتهازية الأجيال السابقة .
ــ لا غنى عنها فى الزحام .
ــ اذن فلماذا يخشى العالم الحرب ؟
ــ ليست الحرب بأفظع ما يتهدد العالم .
ــ أيوجد ما هو أفظع ؟
ــ الفرد غير آمن تماما بين أهله ، والأسرة تخشى

الجيران . والوطن مهدد من أوطان شتى ، والعالم يحيط به عالم خفى من الكائنات الضارة ، والأرض قد يخربها خلل بالمجموعة الشمسية ، والمجموعة الشمسية قد تنفجر وتختفى فى ثوان .

ــ أنت مجنون ! .

ــ ولكن علينا أن نضحك وألا نسمح لشىء بأن يفسد علينا حياتنا الغالية ..

ــ آمين .

ــ آمين .

ــ آمين .

ــ ٨ ــ

ارتسمت فى وجه عشماوى صورة غير عادية . انغرست فى أساريره غضبة كالحة فولاذية انداحت فوق جفاف الشيخوخة وبروز الفكين وتهدل اللحيين . وعندما استقبل الأستاذ حسنى حجازى لم ينجل شعاع واحد للبشاشة فى وجهه حتى توجس الأستاذ خيفة مجهولة فقال ــ وهو يتخذ مجلسه ــ لعم عبده بدران :

ــ خير ان شاء الله ؟ !

وسمعه عشماوى فأقبل نحوه حتى وقف أمامه وتدفق قائلا :

ــ انى ألعن كل شىء ؛ وألعن فوق كل شىء نفسى ؛ انى ثائر على ضعفى وعجزى واندحارى فى صندوق القمامة بلا حول . ومن أنا ؟ ! ، أنا عشماوى الخشن ، صاحب القبضة الحديدية والنبوت المخضب بالدماء ، أنا من يرتجف عند ذكر اسمه الرجال وتتوارى النساء ويستعيذ بالله منه رجال الشرطة ، أنا المجرم الجبار الفتاك الطاغية السفاك النمرود الشيطان ..

واختنق بأنفاسه فقال حسنن حجازى بلين ودعابة :

ــ وكيف تشكو الضعف وأنت ذلك كله ؟ !

ــ انى أحكى عن الماضى ، عن الماضى أحكى لا الحاضر . افهمنى يا أستاذ ، كنت رجل درب الحلة وحاميها ، وكان الويل نصيب من يتعرض لأحد من أهلها بسوء ، بفضلى نعموا بالسلام والأمان . بفضلى بغوا على الخلق وهم فى أمن من العواقب ، كان اسمى قانونا وسيفا ونعمة وغنى وفقرا ، ماذا جرى يوم اعتدى نذل من القبيسى على رجل من حارتنا ؟ ، هجمت على الحى كالقضاء والقدر ؛ لم أفرق بين متهم وبرىء ، تهاوت الضربات على رءوس المارة ، حطمت الدكاكين ، احترقت عربات اليد ، انهمرت الأحجار على النوافذ والأبواب ، واسأل عنى أيام سعد ، ولا تسأل عن عدد ضحاياى ، وقد عرفت بشارب

الدماء منذ ذبحت انجليزيا وشربت دمه المسفوح ؛ هذا هو عشماوى الخشن !

فقال حسنى حجازى وهو يلعنه فى سره :

ــ تاريخك معروف يا عشماوى ولكن لم أنت غاضب ؟ !

ولكن العجوز لم يجب • ورجع الى مجلسه عند الباب وغرق مرة أخرى فى الحزن والصمت • ونظر حسنى حجازى الى عم عبده بدران فى فضول فقال عم عبده بدران باشفاق بلغ حد الخوف :

ــ أصيب شابان من أهل درب الحلة •

فقال حسنى باستنكار :

ــ ظننت أن أيام الفتونة والمعارك قد انتهت الى غير رجعة •

فقال عبده بدران بوجه شاحب :

ــ أصيبا فى الجبهة !

فوجم حسنى حجازى ، ثم تفكر فى كلمة مناسبة يقولها ، ولكن عشماوى سبقه صائحا :

ــ قصدتنى جدة أحدهما مستغيثة بى كالأيام الخالية ، ظنت الولية أن عشماوى ما زال كعهده القديم يستغاث به فيغيث !

فقال حسنى حجازى :

ــ انهما بطلان يا عشماوى ••

فقال الرجل بحنق :

ـ أنت لم ترهما ولم تر العنبر ..

ـ زرتهما فى المستشفى ؟

ـ زرتهما . رأيت وسمعت وشعرت بعجزى فلعنت كل شىء كما لعنت نفسى .

فقال حسنى بروح عالية وهو يقصد أولا عم عبده بدران :

ـ هما بطلان ، وهكذا الحرب فى كل زمان ومكان .

فصاح عشماوى :

ـ انى ألعن العجز ..

ـ سليمة سليمة باذن الله .

وقال عم عبده بدران ليبدد مخاوفه الشخصية بدعابة :

ـ وأنت يا عشماوى ألا تطالب دائما بالحرب والنصر ؟

فتحول غضبه الى حزن وهو يردد :

ـ الحرب والنصر ولكنى عجوز لا خير فيه !

ـ حسبك أنك شربت من دم الانجليز فى شبابك !

ثم نظر عبده بدران الى الأستاذ حسنى وقال :

ـ فى الثورة الأولى كنت دون السن اللازم للجهاد واليوم أنا فوق السن المناسب للحرب فلم أفعل شيئا يذكر للوطن ..

ـ ولكن ابنك فى الجبهة ، خبرنى هل يؤلمك تصورك أنك لم تفعل شيئا ؟ .

ـ أحيانا ولكن أعباء الحياة تغرقنى حتى القمة !

وتذكر حسنى أنه ذو موقف مماثل ، وأنه كان يحاسب نفسه فى أزمات تلم به ، وأنه كان يطفىء سعارها ببرودة العقل الخالدة ، وأنه أوشك أن يقنع نفسه بأنه يفتح شقته للأفراح البريئة والخير ! . وسأله عبده بدران :

ــ على أى وجه سينتهى الموقف يا أستاذ ؟

فضحك حسنى عاليا وقال :

ــ السؤال الخالد ! ، ماذا يمكن أن يقال ؟ ، فلننتظر ..

ــ ولكن الموت لا ينتظر .

ــ انه سباق ونحن لا نموت وحدنا !

وعند ذلك تساءل عشماوى :

ــ وهل أولاد الأغنياء يقتلون أيضا ؟

فلم يتمالك حسنى نفسه من الضحك وقال :

ــ ولكن التجنيد لا يفرق بين غنى وفقير يا عشماوى ..

فهز رأسه فى ارتياب وعاد يسأل :

ــ وهل يرسلونهم حقا الى الجبهــة ؟ .. قلبى يحدثنى بغير ذلك ! .

ــ لا تصدق قلبك يا عشماوى .

وعكف على النــارجيلة . وقال لنفسه ان جلسة الليلة خسرت هدوءها العتيد ، وأن الحزن فيها امتزج بالضحك ، وأن الهزيمة مرة وعواقبها تنتقل من مركز الى مركز فى المخ ولكنها

لن تمحى ، وأن جبلا شامخا انهار ، تبدد حلم عجيب ، وأن خير ما يريح به نفسه أن يترك الأمانة لحامليها • وساءل نفسه وهو ينفث الدخان من فيه وأنفه أين يجد مكانا لا يتردد فيه ذكر الحرب ؟ !

- ٩ -

جمعت الشرفة المطلة على النيل الصديقات الثلاث : عليات عبده وسنية أنور ومنى زهران • ركان الخريف يبث فى الجو برودة لطيفة ويزين سماء الأصيل بسحب ناصعة البياض • وقد لبت عليات وسنية دعوة عاجلة الى مسكن منى بالمنيل فتوقعا أخبارا جديدة وسعيدة • وهن صديقات حميمات منذ الدراسة الثانوية ، وتمتاز منى بجمال رائق يتمثل فى بشرتها الضاربة للبياض وعينيها السوداوين الجذابتين وقامتها الرشيقة المائلة للطول ، كما تمتاز بأسرتها المتوسطة ذات الدخل الموفور — الأب مدير ادارة قانونية والأم ناظرة مدرسة متقاعدة باختبارها — فضلا عن أنها موظفة بالسياحة منذ عام • وكان لها شقيقان أحدهما مهندس فى بعثة بالاتحاد السوفيتى والآخر طبيب بالمنوفية ويتوقع اختياره فى بعثة قريبة ، ولذلك كانت طموحة

تداعبها الأحلام ولا تستقر • وكان مسكن منى يذكر عليات وسنية بمسكن الأستاذ حسنى حجازى رغم الفارق المحسوس بينهما ولكن الحسد لم يتسلل الى نفسيهما بفضل العلاقة الحميمة الحارة •. وقد توقعتا أخبارا جديدة وسعيدة ولكن منى قالت باقتضاب مثير :

ــ فسخت خطوبتى قبل أن تعلن !

انزعجت الفتاتان حقا ، وقالت عليات :

ــ غير معقول !

وقالت سنية :

ــ أى خبر !

وكانت منى قد قدمت لهما ــ منذ شهر ــ فى دار الشاى الهندى شابا يدعى سالم على . قاض بمجلس الدولة . باعتبار الصديق والخطيب المنتظر . ولذلك توقعتا من وراء الدعوة العاجلة أخبارا جديدة سعيدة لا هذا الخبر الأسيف • وقالت سنية وهى تهز رأسها هزة ذات معنى :

ــ وطبعا كنت أنت البادئة ! ؟

فقالت منى بتحد :

ــ ظنك صادق دائما معى !

ــ ولكنه شاب جذاب وذو مركز يا منى ؟

وقالت عليات :

ــ وكان واضحا أنه يحبك وأنك تبادلينه الحب ؟

عند ذلك تململت من الضيق وربما من عاطفه لم تستطع بعد أن تقتلعها من أعماقها ، فثبت لهما أنها دعتهما لحاجتها الى الأنس والعزاء ، ولكنها قالت بنبرة لم تخل من حدة :

ــ عرفت عن يقين أنه يقوم بتحريات عنى !

وساد الصمت حتى قالت سنية :

ــ أهذا ما أخذته عليه ؟

ــ وهو كاف وفوق الكفاية .

فقالت عليات :

ــ أراهن على أنه فعل ما فعل بحسن نية !

ــ أنا لا أتهمه بسوء النية ولكن بسوء العقلية أتهمه ..

ثم مستدركة بانفعال شديد :

ــ ولم أتردد فواجهته بالتهمة ، تلعثم وحاول أن يفسر سلوكه بغير بواعثه الحقيقية ولكنى رفضت تفسيره وطالبته باحترام نفسه فاعترف واعتذر بسخافات لا أذكرها ولا أحب أن أذكرها فلم أقبل عذره ، وقلت له ولم لا تسعى الى الزواج عن طريق خاطبة ، وسألته عما يريد معرفته عنى أكثر مما يعرف أو مما يمكن أن يعرف بالاتصال المباشر وبالحب المزعوم ، قال انه برىء وأنه يحبنى وأن سمعتى نقية مثل الورد فضحكت ساخرة وقلت له انى أحتقر تحرياته وأحتقر النتائج التى وصل

اليها وأنه خدع أو أنه لم يحسن التحرى ، وقلت له ماضى ملكى وحدى كما أن ماضيه ملكه وحده وأننى أرفض كافة أنواع العبودية فى أى زى تزيت وبأى اسم تحلت ، وأنه لا يصلح لى كما لا أصلح له ..

وسكتت وهى تلهث والغضب يرتعش فى شفتيها ويدلهم فى عينيها . وبدا أن صديقتيها لا تؤيدانها فى موقفها وان شاركتاها فى الاحساس والرؤية . تساءلت عليات :

ــ ألم تبالغى يا منى ؟

وقالت سنية :

ــ هى تقاليد بلادنا !

فزهت منى رأسها بعناد وقالت :

ــ انى أرفض ذلك كله ..

فقالت سنية :

ــ انهم معقدون ويحتاجون الى ترويض طويل .

وقالت عليات وكأنما تتم الكلام :

ــ لا الى التحدى ..

فقالت منى بعجرفة :

ــ أفضل أن أبقى بلا زواج آذا كان الثمن كذبة سخيفة وجراحة دنيئة !

فقالت عليات :

ـــ ولكن ظروفنا حرجة كما تعلمين ..

ـــ لا يمكن أن أتهاون فى مبادئى وأخلاقى .

أجل فهى معروفة بأخلاقياتها . وهى لم تمارس الجنس الا بدافع من الحب ، ولم تضطر ـــ مثلهما ـــ الى ممارسته فى أحيان كثيرة لاقتناء ما يحتاجان اليه من ملابس وأدوات زينة وكتب . ولعلها كانت تحتقر سلوكهما وان عطفت عليه من أعماق قلبها المحب . وقد تابعت خطوات خطوبتهما وما اقتضته من شهادات الزور والأكاذيب وغير ذلك ، ولم ترتح لشىء منه وان تعزت بأن جميع تلك السخافات انما ارتكبت باسم حب حقيقى . وكانت محاولة اثنائها عن موقفها ميئوس منها لما تعرفان من عنادها وكبريائها ومثالياتها ، فسلمتا بالواقع فى حزن وكآبة . وقالت لها عليات :

ـــ أنت يا منى جميلة وممتازة وجديرة حقا بزواج سعيد !

فسألتها منى :

ـــ ترى هل تطمئنان الى مستقبلكما القائم على كذبة كبيرة ؟

فقالت سنية :

ـــ انه يقوم على الحب .

أما عليات فقالت بقلق :

ـــ ان رجلا مثل حسنى حجازى خليق بصون سرنا .

فقالت منى :

ــ حسنى حجازى لا نتوقع منه الخيانة .

فعادت عليات تقول :

ــ أحيانا أتذكر المصادفات المرعبــة التى تقلب الأمور فى السينما !

فقالت سنية بقوة متحدية :

ــ لم يكن فى وسعنا أن نفعل خلاف ما فعلنا وعلينا أن نواجه مصيرنا .

وفجرت الزيارة فى نفس عليات وسنية دوامات من القلق ولكن استقر فى أعماقها فى النهاية قول سنية « علينا أن نواجه مصيرنا » .

ــ ١٠ ــ

لم تسعد منى بانتصار كبريائها . أو لم تسعد كما قدرت . وفى أوقات انفرادها بنفسها غزتها الكآبة كالغبار . خافت أن ترتكب حماقات بلا نهاية . اعترفت لنفسها المتمــودة بأنها ما زالت تحب سالم رغم حماقته وسخافاته . أدركت أنها تقف حيال مشكلة وأن المشكلة تتطلب على أى حال حلا . وجاء شقيقها الدكتور على زهران الى القاهرة فى اجازة فسرت

بحضوره وقصت عليه تجربتها الفاشلة . وأسف الرجل ولكنه كان مستغرقا بهموم طارئة فقال لها :

ــ انى أفكر فى الهجرة !

فدهشت منى وتمتمت :

ــ الهجرة ؟ !

ــ الحق أنى جاوزت مرحلة التفكير فاستقر رأيى على الهجرة .

ــ ولكنك تنتظر فيما أعلم بعثة علمية ؟

ــ لم ألق الا المماطلة ، ففكرت فى الهجرة ثم استقر رأيى عليها .

ــ وكيف يتم لك ذلك يا أخى ؟

ــ انى على وشك الانتهاء من بحثى عن الطفيليات وسوف أرسله الى زميل مهاجر بالولايات المتحـــدة ليعرضــــه على الجامعات وبعض المراكز الطبية ومن ثم أنتظر أن أدعى للعمل فى احداها ، وهو ما حصل معه بالضبط ..

فشهقت بقوة من شدة الانفعال وقالت :

ــ أهاجر معك !

ثم بثقة :

ــ انى متخصصة فى الاحصاء وأتقن الانجليزية .

فابتسم الدكتور وقال :

ــ لئن نهاجر اثنين خير من أن أهاجر وحدى ..

وعارض الوالدان الفكرة ، ولم يدركا لها حكمة ما دام للشقيقين مستقبل مرموق فى مصر ، فقال الدكتور لوالديه :

ــ البلد بات مقرفا .

وقالت منى :

ــ وهو لا يطاق .

وأراد الأب أن يستثير عاطفتهما الوطنية ولكن الدكتور على قال بجرأة عدها الأب قاسية :

ــ لم يعد الوطن أرضا وحدودا جغرافية ولكنه وطن الفكر والروح !

وتألم الأب الذى ينتسب الى جيل ١٩١٩ ، جيــل الوطنية المصرية الخالصة ، واستمع الى ابنه بانزعاج فخيل اليه أنه يطالع ظاهرة غريبة تستعصى على الادراك والتفسير . وكان يسلم بأنه لا يستطيع أن يثنيهما عن عزم ان اعتزماه فتساءل فى جزع كيف يمكن أن يحتمل الحياة بدون وجودهما معه فى وطن واحد على الأقل ! ، وكانت منى تحب أباها كثيرا ولكنها لا تكاد تتفق معه فى رأى ، وعجبت كيف أن هزيمة ٥ يونية فجرت وطنيته من جديد فعادت سيرتها الأولى على حين أنها منيت بخيبة شاملة تدفعها باستمرار الى تغيير جلدها خلية

خلية • وهو ما حصل لعليات وسنيه وغيرهما وما حصل لشقيقها • وقالت مخاطبة الدكتور :

ــ اننا نحيا بلا هدف !

فقال لها بامتعاض :

ــ وأنا أحيا بلا حياة ••

ــ يجب أن نهاجر •

ــ سنهاجر عند أول فرصة •

واعتبرت منى نفسها سائحة عابرة فشعرت براحة نفسية لم تشعر بها مذ قطعت علاقتها بسالم على • وسرعان ما ذاع الخبر بين صديقاتها وزميلاتها وفى الأوساط التى تتنقل فيها • وراحت تحلم بحياة جديدة نقية توفر للفرد سبل التقدم والازدهار والأمن • وكانت عائدة من مكتبها عصرا عندما وجدت أمامها سالم على فى ميدان طلعت حرب • لم تكن مصادفة ، ولم يحاول ادعاء ذلك ، واكنه مد لها يده وهو يقول

ــ علمت أنك ستهاجرين الى الولايات المتحدة فعز على ألا أودعك ••

فصافحته ببرود أخفت به انفعالها وقالت :

ــ أشكرك •

ومضت فى سيرها فسار الى جانبها فرمقته باحتجاج ولكنه تجاهلها فعادت تقول :

ـــ قلت أشكرك !

فقال بهدوء :

ـــ ولكنى لن أتركك •

فسألته بالبرود نفسه :

ـــ لماذا ؟

فقال وكأنه يعترف :

ـــ وضح لى أنى أحبك وأننى لم أستطع الاقلاع عن الحب•

ووجدت أنها سعيدة لدرجة فاضحة فغضت بصرها وهى تقول :

ـــ ولكننى وفقت فى ذلك ••

ـــ اذن فلنذهب الى دار الشاى الهندى •

وسارا جنبا لجنب وقد انقلبت أحلامها رأسا على عقب فقال وهو يتنهد فى ارتياح :

ـــ الحب أهم شىء فى الدنيا !

ثم بارتياح أعمق وشى بما عاناه من عذاب :

ـــ اى والله ، الحب أهم شىء فى الدنيا ، وكل ما عداه باطل ••

ونظر اليها متسائلا :

ـــ هل ستهاجرون حقا ؟

فأجابت بفتور :

ــ نعم ..

ــ ليتنى أستطيع الهجرة أيضا .

فسألته باسمة :

ــ وماذا يمنعك ؟

ــ تخصصى لا يؤهلنى لها .

ثم وهو يضحك :

ــ لا مفر من البقاء فى مصحة الأمراض العقلية .

- ١١ -

فى قرار واحد أصبح مرزوق أنور وخطيبته عليات عبده موظفين فى الحكومة . تعينت هى فى وزارة الشئون الاجتماعية أما هو فتعين فى المنطقة التعليمية ببنى سويف . تكدرت فرحة التعيين وأطل شبح الفراق على الحبيبين وتساءلا كيف يجتمع شمل عروسين واحدة فى القاهرة والآخر فى بنى سويف . وذهب مرزوق الى محطة مصر فصحبه أبوه وعليات ، وجلسوا حول مائدة فى البوفيه حتى يأزف ميعاد قيام قطار الصعيد . كان الأب فى الستين ولكنه بدا أكبر من عمره بعشرة أعوام على الأقل ، وكان ممن يأخذون الأمور بتسليم وبساطة ، كما

كان يعتبر ابنه من « المفقودين » على أى حال سواء أبقى فى القاهرة أم رحل الى أسوان • لذلك شجعه طيلة الوقت ، وضرب له مثلا بحياته هو فى الثلاثينات ــ سنوات الأزمة الاقتصادية ــ عندما تقاذفته بلدان القطر والافلاس يطارد التجار ويصفى المحال التجارية واحدا بعد آخر • ومالت عليات نحوه وسألته همسا :

ــ أتعرف ذلك الرجل الذى يجلس أمامنا ؟

فنظر نحو الأمام فرأى رجلا جالسا ، يدخن غليونا ، ويتفحصه بنظر ثاقب غير هياب فقال على الفور :

ــ كلا •

لم يكن يعرفه ولكن خيل اليه أنه لا يراه لأول مرة ، فمتى رأى هذا الوجه شبه المربع الريان ، وهاتين العينين البراقتين ، وهذين الحاجبين الكثيفين ، وهذا الرأس القوى الأصلع ؟ • وهمست عليات مرة أخرى :

ــ انه لم يحول عنك عينيه طوال الوقت •

ولابد أنه يريد أن يحولهما عنه بعد أن تنبه الى نظراته • ولم يقنع بذلك فقام بهدوء وتقدم خطوات ثم وقف أمامهم ، وأحنى رأسه تحية وقال يقدم نفسه :

ــ محمد رشوان •• مخرج سينمائى •

فقام مرزوق أنور بدوره ، أحنى رأسه وقال :

ـــ مرزوق أنور •• موظف •• تشرفنا يا فندم •

فسأله وهو يواصل فحصه :

ـــ أليس لك تجربة سابقة فى فن التمثيل ؟

فأجاب مرزوق بدهشة :

ـــ كلا •

ـــ ألا تحب أن تجرب نفسك ؟

فضحك مرزوق رغم توتر أعصابه وقال :

ـــ لم يخطر لى ذلك ببال •

فقال وهو يهز رأسه هزة خبير :

ـــ عندى لك دور بطولة ••

فهتف مرزوق فى ذهول :

ـــ بطولة !

ـــ كنت مشغول البال بحثا عمن يلعبه فلما وقعت عليك عيناى وجدت ضالتى ماثلة أمامى ، فما رأيك ؟

فقال مرزوق بصوت متهدج :

ـــ أمهلنى قليلا •

وقال الأب :

ـــ انه فى طريقه لتسلم وظيفته الجديدة !

وسألته عليات :

ـــ هل يضمن بهذا الدور عملا ثابتا ؟

فقال محمد رشوان :

ـ عندى له أكثر من دور بطولة وأنا أتنبأ له بالنجاح ..

فقالت عليات :

ـ ولكنه لم يسبق له أن مارس التمثيل ..

ـ هذا أفضل ، سيخرج من تحت يدى كالجنيه الذهبى !

وكان رأس مرزوق قد دار وثمل فقال متخذا قراره :

ـ موافق ..

فقال له أبوه :

ـ فكر قليلا يا بنى .

ولكنه قال باصرار :

ـ موافق وسأجرب حظى ..

وأعطاه محمد رشوان بطاقته وهو يقول :

ـ تقابلنى غدا فى هذا العنوان فى العاشرة صباحا ، عندك تليفون ؟

فهز مرزوق رأسه نفيا فقال :

ـ ودورك جديد فى الواقع ، دور شاب جامعى مجند ، يزور القاهرة فى اجازة قصيرة فتقع له أحداث هامة ، وتحبه سيدة مجهولة الجنسية وتدعوه للهرب معها .

فتساءل مرزوق :

ـ وهل يهرب معها ؟

ـــ هذا ما سيجيب عنه الفيلم ، والمهم أن تبقى الحال على ما هى عليه حتى يعرض الفيلم ..

ـــ أى حال تقصد ؟

ـــ أقصد الموقف فى الجبهة ..

فسأله الأب :

ـــ وهل تتوقع أن يتغير الموقف قبل ذلك ؟

ـــ المنتج يؤكد أن الموقف سيبقى على ما هو عليه أعواما .. ، أما ..

فتساءل مرزوق :

ـــ أما ؟

فضحك محمد رشوان وقال :

ـــ أما اذا انهزمنا مرة أخرى أو حتى اذا انتصرنا فستكون العواقب وخيمة على الفيلم وصاحبه !

- ١٢ -

التقى مرزوق بالسيدة المجهولة الجنسية • كانت تطارده وهو لا يدرى ولكنها تظاهرت بالبرود وسألته سؤالا عابرا •• وأجابها بأدب وبلا اهتمام أولا ، ثم جذبه بغتة جمالها المضىء فصعق تماما • وكان يرتدى بدلته العسكرية وتتجلى البراءة فى عينيه •

ووقف وراء الكاميرا ضمن نفر من المراقبين عليات عبده وسنية أنور ومنى زهران وابراهيم عبده وسالم على • حتى التنفس مارسوه بحذر فساد الصمت وشمل كل شىء . ولم تدب الحياة الا تحت الأضواء الباهرة داخل البلاتو • ولما أعلن محمد رشوان انتهاء اللقطة خرج الممثلان من دورهما وردت الروح الى الواقفين وراء الكاميرا فقالت منى زهران :

ـــ انه ممثل أصيل •

وقال ابراهيم عبده :

ـــ شىء لا يصدق !

وعبثا حاولت عليات اخفاء توتر أعصابها والفرحة التى انطلقت فى حنايا قلبها • وأقبل مرزوق نحوهم فصافحهم وعانق

ابراهيم • ووقف أمام ابراهيم فى زى عسكرى واحد يتبادلان النظر والابتسام • وقالت عليات مخاطبة أخاها ابراهيم :

ــ انه يلعب دورك فى الفيلم !

وتفحصه ابراهيم بعناية وقال :

ــ ولكنك أنيق كضابط •

فقالت سنية ضاحكة :

ــ لأنه يمارس الحب لا القتال •

فسأله ابراهيم :

ــ وهل يمتد دورك الى الجبهة ؟

فأجاب مرزوق :

ــ أجل ، قرأته فى السيناريو ، وهو يصور بطولة خارقة ..

فضحك ابراهيم ولم يعلق بحرف • وجاء المخرج محمد رشوان فصافح الجميع • وكان قد عرف عليات وسنية من قبل فتعرف بمنى زهران وخطيبها سالم على • وكان يتفحص الوجوه كما يتفحص الصائغ الحلى • واقترب من ابراهيم وقال له :

ــ سنحتاج اليك فى بعض المعلومات الضرورية ••

فتساءل ابراهيم ضاحكا :

ــ تقصد بعض الأسرار ؟ !

ــ كلا •• انما ما يسمح بتصويره ••

ــ ليس كل ما يسمح بتصويره مما يحسن تصويره !

فقال محمد رشوان :

ـ انما هدفنا أن نحيى بطولتكم !

ثم التفت الى منى زهران وسألها :

ـ ألا توافقين على ذلك ؟

فهزت رأسها بالايجاب • ثم عاد الى ابراهيم وقال :

ـ كلنا جنود ولكن تختلف الميادين !

فضحك ابراهيم بفتور وقال :

ـ ولكننا نقاتل وأنتم تمثلون !

وضحك الجميع • وأزف وقت تصوير لقطة جديدة فذهب مرزوق ومحمد رشوان • وعند ذاك قالت منى زهران :

ـ هذا المخرج لا يوحى بالثقة !

فقالت عليات :

ـ ولكنه ذو فراسة مذهلة ومقدرة خارقة •

فلوت منى شفتيها وقالت :

ـ انى على خلاف الكثيرين أحترم الأفلام الهزلية ••

فسألها سالم على :

ـ لماذا يا عزيزتى ؟

ـ هى على الأقل صادقة !

فضحك ابراهيم فى مرح صاف لأول مرة وقال :

ـ صدقت •

ثم همس فى أذن سنية خطيبته :

ــ كدت أفقد حياتى أمس مرتين !

فقبضت على كفه بحنان وهمست :

ــ لا سمح الله !

وعكست عيناها الخضراوان نظرة ساهمة • وسألت عليات منى بمرح عابث :

ــ متى تهاجرين ؟

فأشارت منى الى سالم وقالت :

ــ هذا الرجل هو المسئول عن فشل المشروع •

فقالت له عليات :

ــ نحن مدينون لك بالشكر •

فقالت منى :

ــ الهجرة على أى حال سنة !

فسألها ابراهيم :

ــ ولو كانت الى الولايات المتحدة ؟

فأجابت بتحد :

ــ واو كانت الى الجحيم !

- ١٣ -

فى زيارة طارئة تلاقت عليات وسنية مع منى زهران فى مسكنها بالمنيل • لم تكن زيارة عادية ، أو هذا ما قرأته منى فى عينى صديقتها • وقالت عليات :

ــ لدينا رسالة هامة ••

فأثار ذلك حب استطلاعها الى أقصى حد وتساءلت :

ــ أى رسالة ؟ •• وممن ؟

ــ من مرزوق أنور !

ــ الفنان الكبير ! ؟

فقالت سنية :

ــ محمد رشوان المخرج يرغب فى مقابلة خاصة ••

فذهلت منى واتسعت عيناها ولم تدر ماذا تقول ، فقالت عليات :

ــ انه يفتح لك دنيا الكواكب والنجوم ••

وقالت سنية :

ــ وإن أردت الحق فكأنك خلقت لذلك ••

وتفكرت منى وهى فى غاية الانفعال ، وتمتمت :

ــ لم بجر لى ذلك فى خاطر •

فقالت عليات :

ــ ولا كان جرى فى خاطر مرزوق •

ــ أود أن أستأنس برأيكما ••

فقالت عليات :

ــ جربى حظك بلا تردد •

وقالت سنية بتوكيد :

ــ بلا تردد •

ــ ولكننى لم أجرب هذا الفن من قبل •

فقالت سنية :

ــ الحب قد يسبق الفن وقد يلحق به ، لا أهمية لذلك ••

وفى الساعات القلائل التى تلت المقابلة جعلت تفكر فى الأمر فاجتاحتها فكرته ووقعت أسيرة لسحره • وتلفنت لسالم على أن يقابلها فى دار الشاى الهندى ولما أخبرته بما اعتزمته ذهل الشاب وصعق وقال :

ــ لا شك أنها دعابة !

فقالت بتوكيد :

ــ بل اننى أعنى ما أقول تماما •

فهتف بيأس :

ـ ممثلة سينمائية !

فقطبت متسائلة :

ـ ولم لا ؟ !

فقال بغضب :

ـ لا !

ـ ولم تعجبها لهجته وأشعل غضبه كبرياءها فقالت :

ـ لا أقبل هذه اللهجة ..

ـ وأنا أرفض الفضيحة ؟

ـ فضيحة !! ، أنت .. أنت ..

فقاطعها بحدة :

ـ لقد قبلت من أجلك ما لا أستطيع تجاوزه بخطوة أخرى واحدة ..

فصاحت :

ـ أنت تمن على بذلك !

ـ انى أعنى تماما ما قلت ..

فاصفر وجهها وقالت بانفعال شديد :

ـ كفى .. كفى .. أرجوك .. لا ترنى وجهك بعد الآن !

فقام وهو يقول :

ـ أنت معقدة ومجنونة !

وفسخت الخطوبة للمرة الثانية .

واستجابة لانفعالها الشـديد ؛ فضلا عن رغبتها الأصلية .
سعت الى مقابلة محمد رشوان • زارته بصحبة مرزوق أنور ؛ فى مكتبه بشارع عرابى • ورحب بها بحرارة وجلس الى مكتبه وهو يقول :

ـ انهم يسموننى يا آنسة منى كولمبس لكثرة ما اكتشفت من نجوم وكواكب ، ولم تخب نظرتى مرة واحدة فأبشرى مقدما بالنجاح ••

فأشار مرزوق اليه وقال لها :

ـ انى أومن بهذا الرجل !

وعاد محمد رشوان يقول :

ـ انى أرشحك لبطولة فيلم أعتز به جدا ، هل تغنين ؟

فأجابت بحياء :

ـ كلا •

ـ لا يهم ، ممكن الاستغناء عن الغناء ولكننى لن أفرغ للفيلم الجديد قبل ستة أشهر ••

فقال مرزوق :

ـ وهى فرصة لاجراء الاختبارات الضرورية والدعاية اللازمة •

ـ برافو مرزوق ، واذن فقد تم الاتفاق على كل شىء ••

وعقب مرور يومين على المقابلة استدعاها المخرج تليفونيا

الى مكتبه • وفى ذلك الاجتماع الذى اقتصر عليهما التقط لها بعض الصور الفوتوغرافية ؛ وأجرى لها بعض الاختبارات الصوتية كما دعاها الى تمثيل موقف درامى من أحد أفلامه • وطيلة الوقت شجعها بابتسامة لطيفة فآنست اليه وخفق قلبها بالامتنان • غير أنها لم ترتح الى نتائج الاختبارات رغم تشجيعه الودود • ومالت الى الاعتقاد بأنها لم تخلق لهذا الفن وأن أى اجتهاد تبذله فيه مصيره الضياع • ولم تخف عنه مخاوفها فقالت :

ــ انى غير راضية عن نفسى ••

ــ هذا بالحرف ما قالته فتنة ناضر عن نفسها فى أول اختبار .

فعاودها شىء من الأمل فى صورة ابتسامة حلوة فقال :

ــ وفتنة ناضر فى الأصل جامعية مثلك وهى اليوم جوهرة غالية فى دنيا الفن !

وتعددت اللقاءات وتكررت الاختبارات • ومضى أكثر الوقت فى أحاديث عامة عن الفن والحياة • ولاحظت منى أن الأمية تغلب على تفكيره رغم شهرته ونجاحه وأنه كان يمكن استساغته بشىء من التساهل لولا غروره الهرمى الذى لا يحتمل • ولاحظت أيضا أنه يعجب بها أكثر مما يعجب بفنها • بل باتت تؤمن بأنه لا يكترث لفنها على الاطلاق وأن المسألة من أولها لآخرها مجرد شرك • وعند ذاك تجمعت فى صدرها أبخرة

الغيظ والغضب وخيبة الأمل • ولما قال لها وهو يظن أنه آن له أن يمد يده لجنى الثمرة :

ـ جو المكتب غير مناسب لهذه الأحاديث الطلية فأنا أدعوك للعشاء !

لما قال لها ذلك أدركت ما يعنيه وهى تشعر بالغثيان • أما هو فاستمر يقول :

ـ يجب أن ترى عشى الخلوى بالعامرية !

وأحست بأنفاسه المشبعة بالتبغ وهى تتردد على خدها فثار غضبها ولطمته على وجهه ! •

تراجع فى وقفته حتى استقام عوده ، وتحجرت نظرته وانتفخ خداه بالغضب ، وبسرعة هوى على خدها بكفيه الغليظة فترنحت وتهاوت على الأرض • وصاح بها :

ـ تظنين أنك امرأة لا يجوز مسها فى عرف اللياقة العصرية ، يا خنزيرة يا بنت الخنزيرة !

قامت مشعثة الشعر ورأسها يدور وهى لا تصدق فصاح بها مرة أخرى :

ـ اخرجى يا عاهرة وقصى هذه القصة على أمك ••

ما زال رأسها يدور وتناولت حقيبتها ، وسوت شعرها ، ومضت نحو الباب ، وصوته يتبعها قائلا :

ـ دعوتى للعشاء ما زالت قائمة ، وتحياتى لأمك !



وبسرعة هوى على خدها بكفه
الغليظة فترنحت وتهاوت على الأرض

– ١٤ –

ثار سالم على ثورة جامحة تخطت جميع الحدود • صمم على نبذ منى واحتقارها ، واعتبرها فتاة مجنونة ؛ وأن من حسن حظه حقا أنه عرفها على حقيقتها قبل أن يتورط فى الزواج منها • ولم يقتنع شقيقه الأصغر حامد بثورته فقال له :

ــ ما زلت تحبها يا أخى •

فصاح بغضب :

ــ أبدا ، وسوف تعرف ذلك بنفسك •

وكان حامد يحب شقيقه ويؤمن بأنه يفهمه فقال :

ــ أنت يا أخى برجوازى ويناسبك الزواج البرجوازى !

فتضاعف غضب سالم وقال :

ــ عيبكم الأساسى هو تعلقكم بالمصطلحات ، انتظر وسوف ترى ••

فقال له باشفاق :

ــ ان مركزك القضائى ••

ولكنه قاطعه :

ــ انتظر وسوف ترى ••

وعاد الى بؤرة قديمة كان هجرها مذ عرف منى زهران • ذهب الى ملهى « مركب الشمس » بالهرم وهو نصف ثمل • وانزوى فى الحديقة رغم برودة الجو وطلب من النادل أن يدعو سميرة لمشاربته • وسميرة كانت صديقته ، وهى راقصة من الدرجة الرابعة ترقص ضمن مجموعة فى خلفية المسرح عندما يغنى مطرب بالملهى • وهى فى الخامسة والثلاثين ، وبها مسحة جمال ، وجسمها أجمل من وجهها ، ورخيصة الثمن نسبيا ، وقد دهشت لعودته عقب غياب استمر أكثر من نصف عام ، فتظاهرت بغضب لا أساس له ، وقالت له :

ــ رجعت يا خائن ••

وراحا يشربان • ولاحظت أنه ــ بخلاف عادته ــ يشرب بافراط • وكانت ترتاح اليه لأنه مهذب ولأنه يملك سيارة صغيرة وأخيرا لأنه كريم • وقالت له ضاحكة :

ــ أنت تشرب كالوحش •

فقال لها :

ــ سأنتظرك آخر الليل •

ومع أنها رحبت بذلك فى أعماقها الا أنها قالت متسائلة مع رغبة فى تأديبه :

ــ كلا ••

وتبادلا نظرة طويلة ، ثم قالت :

ــ مرتبطة الليلة ••

فهتف بضجر :

ــ كلا ••

ــ كلا !

ــ كيف حال بنتك الصغرة ؟

ــ مع أمى كما تعلم •

فأفرغ كأسه وقال :

ــ عندى فكرة لا بأس بها ••

ــ فكرة ؟ !

فتريث قليلا لأنه شعر رغم سكره بأنه مقدم على أخطر خطوة يتخذها فى حياته • وغضب لتريثه فقال :

ــ أرغب يا سميرة فى أن نعيش معا !

فتفكرت قليلا ثم تمتمت :

ــ فيها قولان !

ــ ولكنك لم تدركى مقصدى !

ــ أعتقد أنه واضح •

فقال وهو يركز عينيه فى كأسه :

ــ أريد أن أتزوج منك !

فطالعته بانكار ثم قالت بحدة :

ـ أنت سكران !

ـ بل رجعت اليك لتحقيق ذلك •

فجعلت تنظر اليه فى ريبة فقال :

ـ ما قولك ؟

ـ أفق !

ـ الليلة ان أمكن !.

ثم وهو يتناول يدها :

ـ ستبقى الصغيرة عند والدتك ولكنى سأرتب لها مصروفا معقولا ، لست غنيا ولست فقيرا ••

فتساءلت بدهشة :

ـ أأنت جاد حقا ؟

ـ هيا بنا فى الحال ان شئت ••

فضحكت وسألته :

ـ ماذا جعلك تقرر ذلك ؟

ـ أريد أن أستقر ، أستقر مع امرأة معقولة بلا خداع ، فهل أنت على استعداد لنسيان الماضى وبدء حياة جديدة ؟

فضحكت ضحكة عصبية وقالت :

ـ لا يوجد مأذون مستيقظا فى هذه الساعة ••

فقام وهو يقول :

ـ لا أهمية لذلك ما دام سيستيقظ فى الصباح الباكر ••

— ١٥ —

كان الدكتور على زهران يرنو الى شقيقته منى بحزن • كان باطنه يغلى ولكن لم يبد فى وجهه الا الحزن • قال لها :

ـــ أنت يا منى فتاة ممتازة وأنا لا أتصور ذلك •

فقالت بأسى :

ـــ لننس ذلك •

ـــ ولكنى أشعر باللطمة فوق وجهى !

ـــ خير من ذاك أن تحدثنى عن مشروع الهجرة ••

ـــ الهجرة !

ثم بفتور :

ـــ الاجراءات طويلة ولكنى أنتظر •

ـــ لا أريد أن أبقى فى هذا البلد يوما آخر •

فقال وباطنه ما زال يغلى :

ـــ عيبك أنك شديدة الحساسية ، ما كان يجب أن تقطعى رجلا مثل سالم على فى لحظة غضب ••

فقالت بنبرة تشى بالدمع النابع من جذورها :

ــ لا أريد أن أبقى فى هذا البلد يوما آخر ••

ــ رجل ممتاز ويحبك •

ــ دعنا من تلك السيرة ••

ــ اننى أتساءل أحيانا لماذا نعتبر أنفسنا على حق دائما ؟

فقالت باسمة :

ــ لأننا على حق ••

ــ الهزيمة زلزلتنا ••

ــ ونورتنا ••

ــ أتسمحين لى بالاتصال بسالم على ؟

فانتترت قائمة فى فزع وقالت :

ــ كلا •

ــ فكرى قليلا •

ــ كلا •

ــ ألا تريدين أن ••

فقاطعته بحدة :

ــ أريد أن أهاجر •

وهز منكبيه ثم ودعهـا وغادر البيت • مضى الى صيدلية واتصل تليفونيا بمكتب المخرج محمد رشوان سائلا عنه فكان الجواب أنه يعمل فىاستديو مصر • وحاول الاتصال بالاستديو ولكن الرقم ظل مشغولا فاستقل سيارته وانطلق بها بسرعة الى

الاستديو • وهناك ــ وكانت الساعة العاشرة مساء ــ علم بأنه غادر الاستديو وأخبره موظف أنه ذهب الى « جاميكا » لتناول العشاء • ووجه سيارته الى جاميكا بالطريق الصحراوى • ومضى يجوب حديقتها ويتفقد البهو ولكنه لم يعثر له على أثر • وقال له المدير ان الأستاذ لم يحضر بعد فمضى يتمشى أمام المطعم • وحوالى الحادية عشرة وقفت سيارة فى الموقف أمام المطعم وتركها رجلان فأشار البواب الى أحدهما وقال للدكتور على :

ــ ها هو الأستاذ محمد رشوان ••

كان يتقدم مرزوق أنور بخطوات ، ويسير على مهل وهدوء فى خيلاء بجاكتته الجلدية الطحينية وبنطلونه الكحلى • اتجه الدكتور على زهران نحوه فى هدوء أيضا على ضوء المصباحين المغروسين فى أعلى المدخل فالتفت الرجل اليه فى غير اهتمام ، ولعله توقع أن يسمع كلمة اعجاب أو اقتراح من نوع ما يتصل بعمله • ودون أن يتفوه الدكتور بكلمة ركله فى بطنه بكل قوة عضلاته وأعصابه • انطلق من فم محمد رشوان خوار • حملقت عيناه • ثم تهاوى ساقطا على وجهه • حدث ذلك بسرعة خاطفة حتى ذهل مرزوق أنور فتجمد كتمثال • وخرج من ذهوله صائحا :

ــ أنت مجنون ؟

وأقبل البواب مهرولا ، وتجمع بعض سائقى السيارات •

أحاط بعضهم بالدكتور علىوانحنى الآخرون علىالأستاذ الملقى
وصاح الدكتور على زهران يخاطب الرجل الملقى أمامه :
ــ أنا شقيق منى زهران يا وغد ..
فانقض عليه مرزوق أنور حتى قبض على عنقه وهو يهتف :
ــ أنت مجنون .. لن تفلت من يدى ..
فنزع يديه بغضب وهو يصيح :
ــ انه وغد يستحق التأديب ..
وارتفع صوت من بين العاكفين على الرجل الملقى وهو يقول:
ــ مات الرجل .. اقبضوا على القاتل !

- ١٦ -

ذهبت منى برفقة أبيها الى مكتب الأستاذ حسن حمودة المحامى بشارع صبرى أبو علم . وقد تذكره الأستاذ زهران فى محنته لا لزمالة قديمة فحسب ولكن لاعتقاده بأنه أحد ثلاثة يعتبرون قمما كمحاميين جنائيين . وكانت حجرة مكتبه واسعة وفخيمة . فاستقبلهما بقامته المديدةووجهه الأسمر الغامقوعينيه المشعتين ،ثم رحب بالأستاذ زهران ،ووقفت عيناه ــ ثوانى ــ شبه مبهورتين عند منى قبل أن يدعوهما للجلوس ثم جلس .

وشرع الأستاذ زهران فى قص قصته وسرعان ما قاطعه الأستاذ حسن :

ــ أهو ابنك ؟ •• لم يخطر لى ذلك على بال ؟

ومضى الرجل فى قصته التى أصبحت قضية حتى فرغ منها وهو يتنهد ، فقال الأستاذ حسن :

ــ البقية منشورة فى الصحف !

ثم وهو ينظر الى منى مجاملا :

ــ من المؤسف أن قتل من يستحق القتل عن غير جهة اختصاص يعتبر جريمة !

فقالت بصوت ضعيف متهور :

ــ لم أتصور أن ينتهى الأمر بمأساة طاحنة ••

ــ ثمة مأساة معقولة ومأساة لا معقولة •

ــ وأخى لم يعرف عنه يوما أى ميل للعدوان •

ــ لو كان خبيرا فى العدوان لما تورط فى جريمة غير مقصودة ••

وطلب منها أن تقص القصة التى بدأت بها المأساة فقصتها عليه بتفاصيلها • سألها :

ــ هل يوجد شهود ؟

ــ كنا وحدنا فى حجرة مكتبه •

وتساءل الأستاذ زهران :

ـ وهل من مبرر لادعاء الباطل عليه ؟

فقال الأستاذ حسن حمودة باسما .

ـ أنت أدرى بدقة القانون ..

فقالت منى :

ـ واضح أنه لم يقصد قتله .

ـ يجب أن أطلع على ملف القضية أولا ، غير أن المنشور في الصحف يدل على أن الدكتور كان يسعى للقاء القتيل ، وأنه بحث عنه في استديو مصر كما بحث عنه في مطعم جاميكا ، ثم انتظره ، ثم كان ما كان ..

ـ ولكن هل يكفي هذا لاثبات أنه قتله عن تعمد واصرار ؟

ـ كلا ؛ ولكن ترى هل أصابه في مقتل ؟

ـ حتى لو كان ذلك صحيحا فلا شك أنه وقع مصادفة ..

ـ ونكننا مطالبون باثبات أى رأى نرتئيه ، ولا تنسى أنه دكتور ، وأنه ـ في نظر المحكمة ـ خبير بالمقاتل !

وغشى الظلام عيني الفتاة فعاد يقول ملاطفا :

ـ ولكن حول ذلك سيتركز نضالنا ؛ وعلينا أن نثبت أنه ضرب أفضى الى القتل ..

فتساءلت وهي تنهار تماما :

ـ والأمل ؟ .. ألا يوجد أمل ؟

فقال الأستاذ بصوت رنان :

ــ طبعا ! •• وهو أمل كبير •• والله المستعان !

وعاشت منى الأيام التالية فى الجحيم • ولم تكد تفارقها عليات وسنية • وكانت تقول :

ــ حتى لو برىء من القتل المتعمد فقد قضى على مستقبله ..

ولم توجد كلمة صالحة للعزاء فمضت تصرخ :

ــ على اللعنة ! •• أنا المسئولة عن كل شىء •

وسعت الى لقاء شقيقها فى السجن • وبكت بحرارة وجنون • ومن عجب أنها وجدته هادئا مستسلما • وقال لها :

ــ كفى عن البكاء يا منى فلا جدوى منه •

فقالت وهى تنتحب :

ــ ولكنى السبب اللعين ••

فقال بهدوء :

ــ أنت معتدى عليك ، وكان طبيعيا أن تفضى الى بحزنك ، كما كان طبيعيا أن أغضب ••

وغمغم بكلام لم تدركه ثم قال :

ــ ثمة خطأ أعمى لا أدرى عنه شيئا ، قتل الرجل وقضى على ••

ــ أنا الخطأ الأعمى يا أخى ••

ــ هو أقوى منك رمنى ، كفى عن البكاء ••

ـ ليتك لم تغضب يا أخى !

فقال بضجر :

ـ ولكنى غضبت ، وعلى أن أواجه المصير ..

- ١٧ -

عهد بالفيلم الى المخرج أحد رضوان فأتم المراحل الباقية منه محافظا ما أمكن على أسلوب محمد رشوان • وحظى مرزوق أنور باعجاب المخرج الجديد لدرجة لم يتوقعها فبعثت فيه روح الأمل من جديد • وكان أحمد رضوان مخرجا ناجحا غزير العقود ، عرف فى ميدانه بسرعة الانجاز مع الاتقان وحسن التوفيق لدى الجماهير فانفتحت أمام مرزوق أبواب العمل • وقال له أحمد رضوان :

ـ أنت فنان موهوب ، وسأجعل منك الخليفة الحق لأنور وجدى ..

فاهتز مرزوق طربا وحلم بالمجد فعاد يقول له :

ـ ولكن لا تجمد نفسك فى نمط ، النمطية مفيدة ولكن المرونة خير وأبقى ، المرونة التى أعنيها أن تمثل الشىء ونقيضه : الطيب والشرير ، ولك البطولة فى الحالين ..

وتنهد فى حزن وقال :

ــ لم يكن كذلك رأى المرحوم محمد رشوان •

ثم وهو يهز رأسه فى أسى :

ــ كان لطيفا وراح هــدرا ! ، أنت تقول انك تعرف منى شقيقة القاتل ؟

ــ معرفة سطحية جدا ولكنها صديقة شقيقتى وخطيبتى •

ــ أتصدق ما ادعته فى التحقيق ؟

فهز منكبيه وقال :

ــ سمعت همسا يقول انه كانت توجد علاقة جنسية بين القاتل والقتيل ! ؟

فذهل مرزوق وقال :

ــ ولكن المرحوم •• أعنى أننى لم أسمع عنه ••

فقاطعه :

ــ ما علينا ، سيكشف التحقيق عن الحقيقة ، الله يرحمه ، لا يجوز أن يذكر بسوء وهو بين يدى الله !

وكانا يجلسان بمطعم الاستديو فانضمت الى مجلسهما فتاة بلا استئذان فقدمه اليها ثم قدمها قائلا :

ــ فتنة ناضر ، نجمة جديدة مثلك ، ولكنها لمعت فى سماء الفن منذ عام ••

وكان مرزوق يعرفها من صورها ، كما علم بعلاقتها الخاصة بأحمد رضوان عن طريق المرحوم محمد رشوان • وكانت ذات جمال خاص لا يدرك من أول وهلة ولكنه نافذ الأثر • خيل اليه أنه يوجد قدر من عدم التناسب بين قسماتها ولكن جاذبيتها طاغية • وجسمها يميل للصغر فى جماته ولكنه فى حدوده ملىء ورشيق وجنسى الى أبعد الحدود • وكان أحمد رضوان فى الخامسة والخمسين ، والدا لفتاة متزوجة من موظف فى السلك الدبلوماسى وشاب مهندس فى بعثة فى الاتحاد السوفيتى • واتسم غرامه بجنون الكهولة • وفتنة فى الأصل جامعية ، ومعروف فى الوسط أنها عشيقة لثرى عربى يدعى الشيخ يزيد ؛ فرش لها شقة فى الدور العشرين بعمارة النيل ، ولم يكن يزور القاهرة الا فى مواسم أو عابرا ، وقال له أحمد :

ـ فتنة موهبة سخية وستعمل معها فى الفيلم القادم ••

وربت على يدها بحنان وقال مخاطبا مرزوق :

ـ ومن مزاياها أنها شقيقة ضابط شهيد فقد فى حرب يونية ••

وعرض فيلم مرزوق فحقق نجاحا ملحوظا أما هو شخصيا فاعترف به كفنان موهوب وتنبأ له أكثر من ناقد بمستقبل باهر •

وتعاقد معه أحمد رضوان على ثلاثة أفلام فاستقرت الأرض تحت قدميه وعزم على الزواج من عليات فى أقرب فرصة •

وعندما اشترك مع فتنة ناضر فى تمثيل أول الأفلام المتعاقد عليها شعر بأنها توليه عناية خاصة ؛ فتلقى ذلك بحذر شديد حرصا على علاقته الطيبة بأحمد رضوان • وكانا ـ مرزوق وفتنة ـ يستريحان فى حديقة الاستديو بين فترات التصـوير حين سألته :

ـ أحق ما يقال عن زواجك ؟

فأجابها بطيبة :

ـ فى أقرب فرصة •

ـ مبارك مقدما •

ـ ستكون أول وجه جديد متزوج :

ـ أجل ••

ـ ولكن ألا تحتاج الى حرية مطلقة وخاصة فى البداية ؟ !

ـ طالت مدة الخطوبة وليس ثمة ما يبرر التأجيل •

فسكتت قليلا مستسلمة لبرودة الليل ثم سألت :

ـ وهل خطيبتك من الوسط الفنى ؟

ـ كانت زميلة جامعيـة وهى الآن موظفـة بالشـئون الاجتماعية •

ـ أعتقد أنها مطالبة بحكمة سقراط لكى تسعد معك •

ـ يا لها من مبالغة •

ومشت قليلا حتى غابت فى الظلام تماما ثم عادت الى منطقة النور وهى تقول :

ــ توجد فرصة لانشاء شركة بيننا !

فدهش مرزوق وتساءل :

ــ شركة ؟ !

ــ ليس بالمعنى التجارى ؛ أعنى ثنائية ناجحة ••

ــ سمعت ذلك من الأستاذ أحمد وسعدت به ••

ــ فعلينا أن نتحمس لثنائيتنا !

ــ بكل سعادة من ناحيتى ••

ــ لى الثقة كل الثقة فى رأى أستاذى أحمد ••

ورمته بزهرة بنفسج كانت تفـرها بين إصبعيها وذهبت • اضطرب مرزوق • اجتاحته عاطفة سعدة وآثمة • تذكر عليات فيما يشبه الاعتذار والندم •

- ١٨ -

بدا حسنى حجازى جادا أكثر من المألوف • وقف فى حجرة الجلوس ينظر باهتمام واشفاق الى منى زهران • ولم تكن تبادله النظر ، عيناها السوداوان شبه مغمضتين مستسلمة الى مسند

الفوتيل الكبير كالنائمة : تعلوها الكآبة . وقال لنفسه انها الصديقة الوحيدة التى لم تستسلم لنزواته . والتى لا تستسلم الا للحب . وهو يذكر كيف زارته أول مرة وهى طالبة بصحبة عليات وسنية مسوقة بحب الاستطلاع ، وكيف شاهدت أفلامه الجنسية المثيرة ولكنها لم تنزلق رغم الاثارة ، فلم تهبه أكثر من الصداقة وكف هو منذ زمن بعيد عن مطالبتها بمزيد : قال :

ــ دعوتك لأنى شعرت بأنك فى حاجة الى صديق فى محنتك ..

فجرت على شفتيها ابتسامة خفيفة اعرابا عن شكرها فعاد يقول :

ــ دعوتك من قبل ولكنك لم تلبى !

ــ كنت فى غاية الحزن .

فمال نحوها قليلا وقال بحنان :

ــ على أى حال احمدى ربنا ، حسن حمودة محام قادر وقد أنقذ عنقه من المشنقة !

فقالت بأسى :

ــ ولكنه سيقضى فى السجن عشر سنوآت ، وخسر مستقبله الى الأبد !

ــ قضاء أخف من قضاء .

فقالت بعصبية :

ـــ وأنا المذنبة الحقيقة !

ـــ ماذا كان بوسعك أن تفعلى ؟ ، ما فعلت الا أن شكوت همك لشقيقك ..

ـــ لن يهون قولك من شعورى بالاثم ..

ورفع الرجل كأسا بيده الى فيه ثم نظر الى كأس موضوعة على ذراع الفوتيـــل على كثب من يدها كأنما يدعـــوها الى الشراب ، وتراجع خطوات حتى استند الى حافة البار ، ثم قال:

ـــ فكرى فى الهموم من حولنا تهن عليك همومنا .

ـــ لا أظن .

فابتسم متسائلا :

ـــ مصممة على الحزن ؟

ـــ لست حزينة ؛ انى أعيش حياتى ولكن بلا طعم !

فهز رأسه الضخم وقال :

ـــ قد يعرض لى عارض حزن ، أتدرين كيف أعالجه ؟ ، أتذكر آلاف القتلى وما يخبئه الغد من احتمالات ، وسرعان ما يهون على حزنى ..

فرفعت منكبيها فى وجوم ولم تنبس فقال :

ـــ وهزتنى ثورة الطلبة من الأعماق ثم تذكرت أننا قد ندفن تحت الأنقاض فى أى لحظة ..

فهتفت بحدة مباغتة :

ـ هناك ما هو أدهى وأمر وهو أننا نعيش فى الحقيقة على التسول ••

فضحك حسنى عاليا وقال :

ـ يا له من تعبير صادق ومثير •

ـ لم ضحكت عاليا ؟

ـ صدقينى أننى لم أضحك ضحكة واحدة من قلبى منذ ٥ يونية !

ثم مستطردا :

ـ هى مجرد أصوات يا عزيزتى منى •

ـ كيف يهنأ بعض الناس بالنوم ؟

ـ انهم يضعون على أعينهم نظارات التاريخ السحرية فتتجلى لهم رؤية أخرى ••

ـ ألا ترى تلك النظارات عشرات الألوف من الضحايا ؟

ـ كلا ، ولكنها ترى ما هو أخطر !

ـ أأنت جاد فيما تقول ؟

ـ كل الجد •

ـ اذن فأنت راض ؟

ـ لست من صانعى التاريخ فنظرتى رهن بضعف بصرى وهى مليئة بالشجن والعبث •

وولاها ظهره نيملأ الكأس من جـديد فتناولت كأسها وشربت حتى النصف . ثم تحول نحوها قائلا :

ـ اشربى ، يلزمك ثلاث كئوس على الأقل .

فابتسمت لأول مرة وقالت :

ـ بك حنين ملحوظ الى الوطنية فهل قمت بواجبك ؟

فصب الشراب فى جوفه دفعة واحدة ثم قال :

ـ فى مثل سنى يكفى أن أحمل الكاميرا وأزور الجبهة لأقوم بواجبى !

ـ ثم ترجع الى بيتك السحرى !

ـ هنا أنتهب لذات عابرة بدافع الذعر والحزن .

ـ سعداء هم الكهول !

ـ ما أتعس البلد الذى يحسد فيه الكهول على كهولتهم !

وتبادلا نظرة طويلة لا تخلو من عذوبة ، ثم قال :

ـ دعوتك لأسليك فانظرى ..

فقاطعته بهدوء :

ـ الأستاذ حسن حمودة يرغب فى الزواج منى !

فذهل حسنى حجازى ، صمت مليا ، ثم هتف :

ـ انه يماثلنى فى السن !

فهزت رأسها نفيا وقالت :

ـ انه فى الأربعين !

ــ أراهن على أنك ستوافقين !

ــ ام تتوهم ذلك ؟

ــ ربما احتججا على الحب الذى أعطيته أعز ما تملكين ثم لم تجنى منه الا التعب ..

فقالت بنبرة ساخرة :

ــ سالم على تزوج من مومس !

ــ لم يعد لهذه الكلمة من معنى !

فتساءلت وهى تتنهد :

ــ أليس من المضحك أن يفعل اثنان بنفسيهما ما فعلا وهما يتبادلان الحب ؟

ــ اشربى كأسك وتزوجى من حسن حمودة فلا خير فى أن تبقى وحيدة لتجترى أحزانك حتى تقتلك ..

وحدثها حديثا مطولا عن حسن حمودة وأسرته الصعيدية العريقة وأرضه التى صفيت فى الاصلاح الزراعى ونبوغه فى المحاماة ، ثم سألها :

ــ هل شاهدت آخر أفلامى ؟

فضحكت على حين اتجه هو نحو غرفة العرض .

- ١٩ -

كانت جلسة واجمة لا تبشر بخير •• ها هى قهوة الانشراح عقب منتصف الليل ولكنها لا تعد بمسرة واحدة • دخن حسنى حجازى نارجيلته فى صمت شامل • اختلس من عبده بدران نظرة فرآه غارقا فى الأفكار • وفى الركن تحت النصبة قرفص عشماوى وهو يرسم على البلاط خطوطا وهمية باصبعه • وقال لنفسه : ليلة ثقيلة وسيكون لليالى المقبلة طعم العلقم •• والتقط عبده بدران نظرة من نظراته فقال :

ـ وهكذا ألغيت الأفراح !

فقال حسنى حجازى مواسيا :

ـ تأجلت لا ألغيت !

ـ ربنا يسمع منك !

ـ ربنا كبير يا معلم عبده •

فقال عبده بدران بأسى :

ـ لما لم يحضر فى ميعاده دق قلبى بعنف ، وقبل ذلك رأت أمه حلما فظيعا ••

ــ بسيط باذن الله !

ــ من آدرانى ؟ ، لم يسمح لى فى زيارته بأكثر من دقيقة . لم أر منه شيئا ، اختفى الوجه والرأس وانعنق تحت الشاش تماما !

ــ اجراء طبى ليس الا !

فتنهد الرجل وقال :

ــ وكنا نستعد للاحتفال بزواجه هو وأخته عليات :

ــ سيتم الاحتفال بعد أسبوع أو بعد شهر !

وساءل حسنى نفسه ترى أهذا هو حال الآباء والأمهات فى جميع الأمم أم أنه توجد شعوب أخرى مشبعة بروح القتال والجهاد ؟ . وهل زيف التاريخ حكاية البطولات فلم تصلنا على حقيقتها ؟ . أهو عيب فينا أم هى الطبيعة البشرية فى كل زمان ومكان ؟ واذا كان ذلك كذلك فكيف أمكن سوق الجماعات البشرية الى حرب فى اثر حزب ؟ ! . ما أعظم الفارق بين صورة التضحية فى جريدة يومية أو كتاب تاريخ أو ديوان شعر وبينها فى مقهى أو بيت أو حارة ! . ومع ذلك لم يقبل البشر على امتهان مهنة وهى كره لهم مثل الحرب !.

ورفع عشماوى رأسه من فوق ركبتيه وقال :

ــ نحن مساكين يا أستاذ .

فصدق عبده بدران على قوله قائلا :

ـــ أجل ، نحن مساكين .

فقال حسنى :

ـــ ماذا أقول : لو كنت شابا لوجب أن أتحمس للحرب !

فقال عشماوى :

ـــ بتر ساقا ابن جارتنا !

ـــ هى الحرب يا عشماوى ، ووطنك محتل !

فقال العجوز بغضب :

ـــ أود عندما أرى شخصا ضاحكا أن أبصق على وجهه !

ـــ ماذا تظن ؟ ؛ الحرب تشدنا خطوة فخطوة ، واذا استعر لهيبها فلن ينجو من نارها مخلوق ؛ فى الجبهة كان أم فى داره .

وساءل نفسه مرة أخرى ماذا يقول الرجل لو علم بما يدور فى مسكنه الخيالى ؟ . اللعنة . ماذا تريدون ؟ . لم يبق على النهاية الا القليل . والحياة عزيزة وحبها معقول . وأنت يا مصر عزيزة وحبك لا معقول ! ، لا شك أنه توجد نقطة فى العلو تذوب فيها الفوارق وتتمحى الانفعالات المهلكة ، وتتغص عليه صفوه تماما . وحكم على نفسه بالغباء والحماقة . وقال انه ما زال ينقصه قدر مخيف من الغباء والحماقة ليكون من عظماء التاريخ . شعلة الحياة والجنون والغموض الخلاق .

وقال عشماوى :

ـــ من العدل أن تتوزع المصائب بالمساواة الحقة •

ـــ صدقت •

وقال عبده بدران :

ـــ أنا لا أفهم !

فرمقه حسنى بنظرة استفهام فقال :

ـــ أيام الكروب تتتابع كالمطر ••

ـــ نحن قلب العالم فماذا تتوقع •

ـــ الاحتلال ، الاستقلال ، ١٩٥٦ ، اليمن ، ١٩٦٧ ، الاحتلال !

فقال وهو يدارى ضجرا بدأ يزحف :

ـــ غدا يخلق وطن جديد !

ـــ قلبى غير مطمئن !

ـــ لأنك راجع من المستشفى بعد التأهب للاحتفال بفرح !

ـــ آه يا بلدى •

فقال عشماوى :

ـــ بلد الأولياء والصالحين !

ثم بعنف استرد به بعضا من وحشيته القديمة :

ـــ يا عرب !

وقال حسنى لنفسه للمرة الثالثة ما أشق ما تطالبنا به

الحياة ، الضعف والقـوة ، الحماقة والحكمـة ، النعـومة والخشونة ، الجهل والعلم ، القبح والجمال ، الظلم والعدل ، العبودية والحرية ، وأين أنا من هذا كله ؟ ! ، لا همة ولا موقع يصلح للعمل ولا بقية من عمر ، ولكنى أحبك يا مصر فمعذرة اذا وجدتنى مع حبك أحب الحياة فى ساعات وداعها الحمقاء !

- ٢٠ -

وقفت السيارة أمام عش سقارة . غادرها فى وقت واحد الأستاذ حسن حمودة ومنى زهران . مضيا الى خميـلة فى الناحية الجنوبية من الحديقة فجلسا تحت مصباح خافت يرسل نورا أزرق من خلال أوراق اللبلاب . جميلة كعادتها ولكن ثبتت فى أعماق عينيها نظرة حزينة . وكان يعتبر أنه تخطى العقبات الأساسية فتبدى مرحا بقامته الطويلة وبشرته العميقة السمرة وثقته بنفسه التى تلازم حركاته وسكناته . ونظر اليها طويلا . وجعل يبتسم وكأنما يدعوها الى الابتسام أيضا . وقال وهو يتنفس بعمق هواء الليل المعبق بروائح نباتية :

ــ المكان هادىء ، بعيد عن الدنيا ، ينتمى الى عالم آخر .

فهمست :

ـــ نعم •

وشعرت بأنها جاوزت الحد فى الاعتراف بالسعادة فاستدركت :

ـــ ولكنا نحمل فى قلوبنا هموم العالم الأول •

ـــ لك نصيب موفور من الهموم ولكنك لست أتعس من على سطح الأرض ، هلتدركين معنى خسارة ألف فدان فى ثانية واحدة ؟ ، ومصرع أب مهيب بأزمة قلبية ، وتلويث سمعة أسرة كبيرة كريمة شاركت فى حياتنا الوطنية منذ الثورة العرابية ؟.

وترددت وقتا قبل أن تتساءل :

ـــ ترى ألا تعلم بأننى لا أعد صديقة للاقطاع ؟

فابتسم بسماحة وقال :

ـــ لا يدهشنى ذلك بطبيعة الحال فأنت من جيل الثورة ولكن لعلك لا تعدين نفسك عدوة لثورة الطلبة ؟

ـــ هذا أمر مختلف !

ـــ ليكن ،ولنعد الى همومك الحقيقية ، فأقول لك ألا ذنب عليك مطلقا !

ـــ ولكننا كما ترى أما هو ••

فقاطعها بقوة :

ـــ أكرر ألا ذنب عليك ••

وأدنى وجهه حتى انعكس الضوء الخافت على جناحي أنفه وقال :

ــ ستظل القبور مكتظة وكذلك المستشفيات ولن يمنعنا ذلك من أن نأكل ونشرب ونتزوج !

وتنهدت بصوت مسموع وتمتمت :

ــ كنا على وشك الهجرة !

فقال ضاحكا :

ــ شد ما تمنيتها ولكن بلا أمل ، وعلى أى حال فخير لنا أن نختار موضوعا آخر للحديث !

فواصلت حديثها باصرار :

ــ وقيل لنا تفكران فى الهرب وسفينة الوطن تواجه الشدائد ؟

ــ آه .. أعترف لك بأننى نشأت وطنيا ولكننى لم أعد أبالى شيئا ، ساعدينى من فضلك على تغيير الموضوع .

ــ ألا يهمك أن ينتصر الوطن ؟

فضحك يائسا وقال :

ــ يهمنى أن نعيش فى سلام وسعادة ، فان تحقق ذلك عن طريق النصر فأهلا به وسهلا ، وان تحقق عن طريق الهزيمة فأهلا بها وسهلا !

فنظرت اليه بذهول وقالت :

ــ لا أفهم !

ــ لك العذر ، ولكنى جئت بك الى هنا لأنى أحبك ..

الواقع أنه كان يريد أن يقول أكثر من ذلك ، وفى الموضوع الذى يتهرب منه . وقال لنفسه لا مهرب من السياسة فهى كالهواء . وقال :

ــ لو أنهم انتصروا فى حرب يونية فماذا كان يفعل أمثالنا ؟ فالهزيمة رغم شرها لا تخلو من بركة للمغلوبين على أمرهم !

صمتت منى . خيل اليه أنها لا تستطيع هضم قوله ، وأراد أن يؤكد رأيه بنغمة جديدة ، رقيقة نوعا ، فقال :

ــ الوطن هو الأرض التى يسعد فيها الانسان ويكرم .

ــ وهل نسعد ونكرم اذا هزمتنا اسرائيل ؟

فلم يستطع أن ينبس بكلمة . فنفخت فى ضيق وقالت :

ــ على أى حال فلن أرميك بحجر ما دمت قد عزمت يوما على الهجرة .

وجاء النادل متمهلا فأمر ــ بعد مشاورة ــ بزجاجة بيرة وحمام مشوى ، ثم قال بعد اختفاء الرجل فى ظلام الحديقة :

ــ لقد رميت بألف حجر !

ثم قال بنبرة وعظ وارشاد :

ــ كلما اشتد البلاء حق للانسان أن يتفانى فى البحث عن السعادة .

ــ رأى غريب !

ــ ولكنه طبيعى وحقيقى ، ولا شىء كالهم يمتص من السعادة رحيقها الشهى !

فقالت منى بأسف :

ــ لى صديقتان عزيزتان ، توقفت مشروعات سعادتهما بسبب الحرب ..

وساءل نفسه كيف نتملص من هذه اللعنة ؟. وروت له مأساة عليات وسنية وهو يتظاهر بالانتباه والاهتمام . وقال لنفسه أنها شديدة المراس ولكنها ستكون زوجة ممتازة . ولكن ماذا أبغى من ورائها ؟ . لا حنين الى الأبوة ولا الى الاستقرار ولا الى الخلود ولكنى أريد الحب ! . ورفع قدحه وهو يقول :

ــ فى صحة زواجنا القريب !

في زيارة الفنانين للجبهة لم تسمح فتنة ناضر لمرزوق أنور بمفارقتها دقيقة واحدة • بدأت الرحلة مع الصباح الباكر • وتقرر السفر الى بورسعيد لهدوئها النسبى بالقياس الى بقية المناطق المتفجرة المشتعلة • واختار منظمو الرحلة طريق رأس البر ـ رغم طوله ـ لموقعه البعيد عن مرمى مدفعية العدو • واطمأن الجميع الى أنهم سيستمتعون بسفر آمن وصحبة هنية • وسخرت فتنة فى نفسها من أستاذها أحمد رضوان الذى تخلف عن الرحلة ، معتذرا بمرضه ، متأثرا فى الواقع بجبنه وايثاره السلامة بأى ثمن • ووصلوا الى بورسعيد فى الظهيرة فدعوا من فورهم للاجتماع بالمحافظ • وتبودلت كلمات الترحيب من جهة والحماس من الجهة الأخرى ، ثم تقضت ساعات فى زيارة بعض الثكنات فى المدينة وبعض المواقع فى الجبهة • تلاقت الأيادى فى مصافحات حارة • وتبودلت النظرات فى اعجاب ومحبة • وأحاط الضباط والجنود بفناناتهم وفنانيهم المفضلين • وتذكرت فتنة شقيقها الفقيد فدمعت عيناها ، كما تذكر مرزوق صاحبه ابراهيم عبده

الذى يرقد فى المستشفى بين الحياة والموت • ورجعوا الى بورسعيد عند الأصيل فتجمعوا فى استراحة المحافظة • أما فتنة فاقترحت على مرزوق أن يتجولا قليلا فى النواحى القريبة من المدينة • سارا فى شارع طويل عريض يبدأ من الميدان أمام مبنى المحافظة • وعقب دقائق معدودات انفصلا تماما عن الحياة التى يضج بها الميدان بما فوق سطحه من سيارات وجنود وموظفين • غاصا فى خلاء شامل وغرقا فى صمت مروع • لا حركة ولا نأمة ولا ظل لانسان أو حيوان • العمارات والبيوت تقوم على الجانبين مغلقة النوافذ والأبواب كأن لم يطرقها حى ، نائمة أو ميتة أو هى هياكل ومشروعات لم تنفخ فيها الحياة بعد • وتاقت الأعين لرؤية أى شىء ، وتلهفت الآذان على سماع أى صوت ، نافذة مفتوحة أو باب موارب أو غسيل يرفرف فى شرفة أو طفل يصرخ أو قطة تموء أو كلب ينبح ، كلا ولا ورقة يدفعها الهواء أو عقب سيجارة ملقى أو قمامة مكومة تحت الطوار ، أى شىء ، أى شىء ، أى أثر لانسان • وهمست فتنة :

ـــ انه كابوس •

فردد مرزوق :

ـــ نهاية العالم •

ـــ قلبى •• لا أدرى كيف أصف مشاعرى •

ـــ تجربة جديدة ، ومشاعر جديدة •



أشعر بأني حر ؛ حرية كاملة ؛ من الحضارة والتاريخ

ـــ يخيل الى أنى تعيسة أو سعيدة جدا وأحلم بالرجوع الى بطن أمى •

ـــ أشعر بأنى حر ، حرية كاملة ، من الحضارة والتاريخ.•

ـــ هل يمكن أن نجن فجأة ؟

ـــ وممكن أن نحادث الأرواح !

ووجدا نفسيهما أمام مدخـل كازينو • مفتح الأبواب وبلا جليس ، ووقف صاحبه ـــ فيما يبدو ـــ فى مقدم التراس مرتديا بلوفر وبنطلونا ومشمر الساعدين • منظر مفاجىء مذهل ولا يصدق •

ـــ لعله مفتوح بأمر المحافظ •

ـــ لعله •

ونظرت فتنة الى الرجل فحياها بابتسامة عرفان فسألته :

ـــ ممكن نشرب فنجال قهوة •

ـــ أو أى شراب ••

جلسا فى أقصى عمق التراس بعيدا عن مرأى الطـريق الخالى • وجاءت القهوة فراحا يحتسيانها بارتياح ، وقالت :

ـــ بقدر ما سعدت بين الجنود بقدر ما جننت هنا ••

ـــ حديثهم مؤثر ولهفتهم على القتال واضحة •

ـــ أجل • لا أتصور كيف يواجه الناس الموت !

ـــ انه جو وعادة وعقيدة ، وهذه هى المشكلة •

ــ وراء ذلك هزيمة خاطفة لم تهضم بعد

ــ ولعلهم أفاقوا ــ مثلنا ــ كالمجانين !

ــ ليجدوا كل شيء مثل هذا المقهى الخالى ٠

وكانت شاحبة الوجه ٠ وذهبت الى دورة المياه ٠ ورجعت باسمة ٠ وجدته بدخن سيجارة بعمق فقال لها :

ــ قرأت اليوم أن أخذ النفس بعمق سبب رئيسى فى اصابة الشخص سرطان الرئة !

ــ أتصدق ذلك ؟

ــ لم تعد لى ثقة بما ينشر فى الصحف ٠

فسألته مداعبة :

ــ صف شعورك عندما تعطل مشروع زواجك ؟

فسألها متظاهرا بالاستياء :

ــ أتسخرين من المصائب ؟

فقالت بجرأة :

ــ أعترف بأنى سعدت بذلك ٠

فتورد وجهه وقال وهو يقوم :

ــ أنا ذاهب الى دورة المياه ٠

وذهب مسرعا ، وعاد وقد غسل وجهه ومشط شعره فسألته ضاحكة :

ــ ماذا فعلت ؟

ــ لعنت زماننا !

ــ ولكنك نجم !

ــ الفن مهرب كالهجرة التى أصبحت موضة هذه الأيام ٠

ــ لا أحب الفلسفة ٠

فقال بمرارة :

ــ أنا معفى من التجنيد ولكن لم لا اتطوع مع الفدائيين ٠

فقالت بسخرية :

ــ الفنان جندى أيضا ٠

فقال بنفس المرارة :

ــ الحق أنى كفرت بكل شىء ٠

ــ واكنك ترغب فى الزواج !

ــ ماذا تتوقعين عندما يتمخض الجبل عن فأر ؟

فصفرت برشاقة ثم سألته :

ــ متى نرجع الى القاهرة فى تقدير ك؟

ــ حوالى الفجر ٠

فقالت ضاحكة :

ــ انى أدعوك الى السحور ٠

فتورد وجهه وقال :

ــ لك رجلان ، ألا يقنعك ذلك ؟

ـ أحدهما يقوم بالرعاية والآخر بالأستاذية فمن لقلبى الخالى مثل هذه المدينة ؟

وقاما ليغادرا المكان فقال :

ـ أنا رجل فى حكم المتزوج .

فقالت بتحد :

ـ لا تكابر ، أنت ملكى أنا ، ألم تدرك ذلك بعد ؟

- ٢٢ -

كان مرزوق أنور واقفا فى حديقة الاســتديو فى فترة الاستراحة عندما وجد أمامه ـ على غير ميعاد أو توقع ـ سنية شقيقته وعليات خطيبته . ارتبك وشعر بأنه وقع فى مأزق . وكان عليه أن يتمالك نفسه فتمالكها ومد يده للمصافحة وهو يغمغم بكلمات ترحيب مخنوقة لم تسمع . وأخرسهم الصمت وقتا ، وكادوا يستسلمون له الى ما لا نهاية حتى خرقته سنية فقالت وهى متوترة الأعصاب :

ـ ليس العثور عليك بالميسور فى هذه الأيام .

انقطع عن بيته تماما منذ عشرة أيام فلم يدر ماذا يقول •
ودست سنية يدها فى حقيبة عليات فتناولت خطابا وسألته :

ـ أهذا خطابك ؟

فأحنى رأسه ، لم ينبس ولم يعترض ، فقالت سنية :

ـ مخجل مؤسف بلا حدود •

فخرج من صمته متمتما :

ـ أشاركك عواطفك •

ـ أنت تقول ذلك !

ـ أجل ، تعذبت طويلا ، ولكن لا يمكن أن تقوم حياة كريمة على أكذوبة ••

فتساءلت عليات بصوت متهدج :

ـ تعتبر الآن ما كان بيننا أكذوبة !

فقال برقة وحزن :

ـ تقديرى لك بلا نهاية ، كذلك خجلى منك ، ولكنه قضاء لا حيلة فيه ••

فسألته سنية بامتعاض :

ـ أيموت حب كبير فى دقيقة ليحل محله حب جديد ؟

وهتفت عليات :

ـ شىء حقير جعلنى أعتقد بأننى كنت بلهاء •

فقال :

ــ انى آسف ، لا حيلة لى ، وأنت شابة جميلة وسيبتسم لك كل شىء •

فقالت سنية :

ــ قل انها نزوة أو مصلحة ••

فهز رأسه بأسف وقال :

ــ هى ليست كذلك •

فقالت عليات بعصبية شديدة .

ــ يجب أن أذهب •

فقال لها بتوسل :

ــ اغفرى لى ذنبى •

فصاحت رغم غربة المكان :

ــ يحق لى أن أشكر الحظ الذى كشف لى عن حقيقتك ••

وتهدج صوتها منذرا بالبكاء فابتعدت عن المكان حتى اختفت فى الظلام • عند ذاك قالت سنية بلهجة قاسية :

ــ يا للعار !

فرفع منكبيه مستسلما ، ثم قال مغيرا وجهة الحديث :

ــ أبعدنى العمل المتواصل عن البيت ولكنى سأزوركم فى أول فرصة •

فقالت ساخرة :

ــ تكاليف الفن باهظة فيما يبدو !

فتجاهل سخريتها قائلا :

ــ زرت ابراهيم فى المستشفى ولكن تعذر على محادثته ••

فقالت وهى تحنى رأسها وفى تأثر بالغ :

ــ لعلك لم تعلم بأنه فقد بصره !

فصعق لحظات فى انزعاج حقيقى على حين صدرت عن الفتاة زفرات بكاء •

ــ فقد بصره ؟ !

ــ أجل ••

ــ نهائيا ؟

ــ طبعا •

ــ وهل عرف الحقيقة ؟

ــ أجل ••

وساد الصمت فوضح صوت النسيم فى غصــون الأشجار ثم تمتم :

ــ آسف على حظك يا سنية ••

ــ هو على أى حال خير من حظ عليات !

ــ وماذا قررت ؟

ــ يا له من سؤال ، سأتمسك به الى ما لا نهاية ••

فتساءل بدهشة :

ــ أتعنين ما تقولين ؟

ـــ بكل توكيد •

ـــ لن يمهلوه من الناحية المالية ولكن ••

فقاطعته :

ـــ قدرت كل شيء ثم اتخذت قراري •

فتردد قليلا ثم قال :

ـــ أرجو أن يكون قرارك نتيجة لتفكير سليم لا لفورة عاطفية زائلة !

ـــ انى أعرف نفسى أكثر مما تتصور !

ـــ اذن فتقبلى صادق تمنياتى !

فتساءلت مغيرة الحديث بدورها ومرجعة اياه الى مجراه الأصلى :

ـــ ألا يمكن أن تعدل عن قرارك فيما يتعلق بعليات ؟

فقال بهدوء وتصميم :

ـــ كلا للأسف !

ـــ انك تفرط فى حب حقيقى •

ـــ سنتزوج فى أقرب فرصة •

وفصل الصمت بينهما مرة أخرى حتى قال :

ـــ انى معجب بك !

فقالت وهى تهم بالذهاب :

ـــ ليتنى أستطيع أن أقول ذلك لك !

- ٢٣ -

جلس حسنى حجازى على الديوان الأوسط تحت النجفة فى شبه استلقاء وهو يراقب المخرج أحمد رضوان فى ذهابه وايابه أو وقوفه القلق مستندا بكوعه الى حافة البار . وقال له :

ــ اجلس واشرب واهدأ ..

فهتف المخرج بحنق :

ــ لن أجد مشاركة وجدانية عند أحد !

فابتسم حسنى حجازى . وقال لنفسه ان الجنــون هو الطابع المميز لهذه الأعوام . وتذكر أنه أحب مرة واحدة فى حياته ثم نسى الحب تماما . هل يقضى عليه بأن يحب من جديد وأن يتوله ويجن وهو يتعثر فى الحلقة السادسة ؟ .

وقال أحمد رضوان بغضب :

ــ طالما لاحظت أشياء وتغاضيت عنها ، ثم ظننتها عابرة !

فقال حسنى حجازى برقة :

ــ يا عزيزى أحمد دعنى أفكرك بذلك الرفيق الرهيب الذى نسميه الزمن !

ــ انى أقوى من بغل .
ــ اجلس واشرب كأسا .
ــ انى أفكر تفكيرا جديا فى قتلها ..
ــ اسمعوا ماذا يقول الزوج القديم والأب الوقور !
فقال بتقزز :
ــ الزواج والأبوة لا يمنعان من الحب ولا من القتل ..
ــ آه لو جلست وشربت !
فضرب الأرض بقدمه وقال :
ــ واتفقنا على الزواج ، الزواج مرة واحدة ، أتعرف ماذا يعنى هذا ؟ ، أن تخسرنى أنا والشيخ يزيد فى آن ، الشيخ يزيد الذى نقلها من بيت قديم بشارع الصقلبى الى عمارة النيل ، وأنا الذى خلقتها !
فقال حسنى حجازى ملاطفا :
ــ ربما أتيح لنا أن نخلق ولكن لن يتيسر لنا التحكيم فى مخلوقاتنا الى الأبد ..
ــ المجنونة بنت المجنونة ، ألا تدرى بأن نورها سينطفىء وأنه لن يجد من يتعاقد معه على عمل ؟
ــ قم برحلة فى ربوع أوروبا ..
ــ على الرحلة وعلى أوروبا اللعنة !
ــ انى حزين عليك أيها الزميل القديم ..

ــ أليس عندك دواء خير من ذلك ؟

ــ عندى مأساة مماثلة ؛ فأنا أعرف خطيبة مرزوق الأولى • وهى تتألم مثلك تماما ••

فقال بمرارة :

ــ ستشفى من دائها فى ساعة أو ساعة ونصف •

فضحك حسنى على رغمه وقال :

ــ اذن فأنت العاشق الوحيد فى هذا الوطن !

فتنهد أحمد وقال :

ــ الله يحرقها كما تحرقنى ؛ الحق أنى لا أتصور الحياة بدونها •

ــ صبرك ، انها متقلبة الأهواء ، وأراهن على أن هذا الزواج لن يعيش أكثر من شهر !

ــ وما على الا الصبر والتألم !

ــ اجلس واشرب ••

ــ ليس لديك الا النصائح المحفوظة ••

ــ ماذا بوسعى أن أفعل ؟

ــ بوسعى أنا أن أقتل ••

ــ كلا ، لست من فصيلة سفاكى الدماء ••

فقال بحنق من تطارده ذكريات مذلة :

ــ حتى الزواج اقترحته عليها ••

ــ الله معك !

ــ وماذا كان جواب العاهرة ؟ ، انها قررت الزواج أيضا ولكن من الآخر !

وكور قبضته مهددا واستطرد :

ــ انهم يقيمون الاستعدادات للوقاية من الغارات الجوية ، ويتوقعون حربا شاملة ، عظيم ، انى أتنبأ بكارثة ستحيق بهذه الأرض اللعينة ..

وتذكر حسنى اللون الأزرق الذى يطلون به النوافذ والمصابيح ، وقوائم الطوب الأحمر أمام الأبواب ، فانقبض صدره . وقال لنفسه ان عزاءه الوحيد فى الحياة يتركز فى مسكنه الجميل الحافل ، فكيف تمضى الحياة اذا تهدم ، كيف تمضى الحياة اذا وجد نفسه بين المهجرين فى معسكر من الخيام ؟ . وقال للرجل :

ــ أنصحك بالقيام برحلة الى الخارج عقب الانتهاء من فيلمك ..

فتأوه أحمد وهو يستدير نحو البار ليملأ كأسا وقال بمرارة :

ــ انى بحاجة الى رحلة طويلة جدا .

- ٢٤ -

دق جرس التليفون على مكتب منى زهران فكان المتكلم بسالم على • رجاها بكل جدية واحترام أن تقابله « دقائق » فى دار الشاى الهندى أو فى أى مكان تفضله • واعتذرت من ناحية المبدأ فألح عليها الحاحا شديدا • سألت عن السبب فقال انه لا يستطيع أن يفصح بما لديه فى التليفون ولكن لديه ما يقوله وهو هام وخطير • وذهبت الى الموعد وهى فى غاية من الضيق والقلق • وتقابلا وتصافحا وجلسا معا • ولاحظت من النظرة الأولى أنه ليس على ما يرام، وارتاحت لذلك ولكنها لم ترتح لارتياحها • فقد من وزنه قدرا ملموسا ، وخبا نور عينيه ، وشحب لونه •وقرأت فى عينيه انعكاس صورتها فخيل اليها أنه لاحظ أيضا تغيرا استوقفه ، فهل صبغتها الأحزان بلونها القاتم وهى لا تدرى ؟ • وشكر لها « تفضلها » بالحضور فصارحته بأنها لا تريد أن تبقى أكثر مما يجب • أحرجته الاجابة قليلا ولكنه كان على أى حال يتوقعها ، فقال :

ـ منذ آخر لقاء تلقى كلانا تجارب قاسية ، وكم وددت أن ألازمك فى محنتك !

فلم تعلق بحرف فقال :

ـ واتسمت تصرفاتى طيلة تلك الفترة بحماقات لا وصف لهـا !

فلم تنبس أيضا ، فواصل حديثه :

ـ أقدمت على زواج كأنه أسلوب من أساليب الانتحار .

فقالت ولو أنها سرعان ما ندمت على قولها :

ـ فاتنى أن أهنئك فى وقتها !

فازدردها متجاهلا وقال :

ـ وعلمت أنك ستتزوجين قريبا ؟

ـ جدا !

وكان جياشا بانفعالات يخشى ألا يسيطر عليها فصمت قليلا لينظم تشتته ثم قال :

ـ معذرة ، أود أن أسألك هل تتزوجين عن حب حقيقى ؟

فتساءلت باحتجاج :

ـ بأى حق ؟

ـ لا حق لى مطلقا ، ولكنى تعلمت عن تجربة أن أى تصرف مستهتر يمس حياتنا فهو يتمخض عادة عن كارثة .

ـ ثوب الواعظ لا يناسبك بتاتا !

فتنهد بعمق واعترف قائلا :

ــ منى ، أحبك ، ما زلت أحبك كأول يوم ، لا حياة لى بدونك ..

فرمقته بنظرة ازدراء وغضب ، فقال :

ــ ماذا فعلت بنفسى ؟ ، تزوجت من راقصة تعيسة ، لماذا ؟ ، بصراحة أعتبرك المسئولة !

ــ مسئولة ؟ !

ــ لم ترعى حبنا بما يستحقه من احترام ، تجنيت عليه أنا بعنادى السقيم وطعنته أنت بكبرياء جاوز الحد ، هكذا يستهين بعض الناس أحيانا بسعادتهم الحقيقية !

فقالت وهى تقطب لتضفى على وجهها قسوة تدارى بها انفعالاتها :

ــ ما الداعى الى نبش أشياء قد ماتت وشبعت موتا ؟

ــ لا ينبغى لها أن تموت .

ــ ولكنها ماتت بالفعل !

ــ لا أصدق أن الموت يجوز عليها .

ــ هذا وهمك أنت وحدك !

ــ أما أنا فلم ألق الا العذاب حتى حررت نفسى بالطلاق ..

نظرت بعيدا كأن شيئا استرعى بصرها ولم تعلق ، فقال :

ــ انكشف زواجى عن لعبة سخيفة ، أدركت أننى لا يمكن

أن أواصل الحياة مع المرأة المسكينة ، فلا حب يجمعنا ، ولا شيء مشترك ألبتة ؛ ماذا أقول ؟ ؛ انها امرأة سيئة الحظ ، أفسدتها حياة الليل وجففت ينابيع الانسانية فى قلبها ، سلسلة متصلة من العادات الجهنمية ، وادمان قاتل للأفيون !

ــ لا أدرى لم تحدثنى عن ذلك ؟

ــ لأنى أحبك !

وانتظر دقيقة حتى تستقر الكلمة فى وعيها ثم استطرد :

ــ ان يكن للحب عندك قيمة فيجب أن تصغى الى ، وأنا أعلم أنك تقدسين الحب ، ان كنت تحبين الرجل فمعذرة عن تبديد وقتك . وأما اذا أردت أن تملئى بالزواج فراغا فلا شيء يملأ فراغ الحب الا الحب نفسه ..

فسألته بحدة :

ــ ماذا تريد ؟

ــ أن نرجع الى حبنا ..

فضحكت ضحكة فاترة وقالت :

ــ يا له من مطلب مضحك !

ــ هو مطلبى الوحيد فى الحياة ..

فرفعت منكبيها استهانة ولم تنبس لتطمئن الى سيطرتها على انفعالاتها ، فقال :

ــ ان الأمل يضيء قلبى كالالهام ..

فقامت قائلة :

ــ آن لى أن أذهب •

فتبعها وهو يقول :

ــ لن أسلم بخيبة مسعاى ، مع السلامة ، ومعك قلبى الى الأبد ••

ــ ٢٥ ــ

لم يبق فى الحجرة الا ابراهيم ، بمجلسه فوق الكنبة بين سنية خطيبته وعليات شقيقته • ارتدى جلبابا فضفاضا ، برز من طوقه رأسه الحليق ووجهه النحيل الشاحب والنظارة السوداء التى أخفت عينيه • ذاك أول يوم رجع فيه الى بيته ، حيث تلقى سيلا من كلمات العزاء والتشجيع ، ثم أخليت الحجرة الا من ثلاثتهم ، فأسند رأسه الى الجدار البارد وأخذ يستحوذ على ارادته • بالنسبة اليه انتهى القتال وانطوى تاريخ واختفى النور الى الأبد • عندما انقضت عليه الحقيقة قال « ليتنى مت » لم يعد يرددها ، وسرى الى قلبه دفء عجيب فى بيته ، ولم يعد يشك أن الحى خير من الميت ، ولم تكف سنية عن الكلام ، قالت ضاحكة :

ـ لا يأس مع الحياة ، كم من مرة كتبتها أو رددتها ، ونسيت للأسف قائلها ، ولكنى لم أدرك معناها الا اليوم ••

ابتسم لصوتها المحبوب فعادت تقول :

ـ سأقرأ لك ، وستتعلم القراءة على طريقة بريل ، وستشق لنفسك طريقا جديدا !

فتمتم :

ـ سنية ، أنا ممتن جدا ، أنت ملاك ••

وتردد قليلا ثم استطرد :

ـ ولكنى أعفيك من أى تعهد سابق !

وضعت سبابتها على شفتيه بحنان وقالت :

ـ لم أسمع شيئا ••

ـ بل فكرى طويلا ، أن أبعد قراراتنا عن الصواب هى ما نتخذها ونحن منفعلون ••

فقالت بقوة وثقة :

ـ فكرت .. وتبين لى أننى لم أكن بحاجة الى تفكير ألبتة ..

ـ أما أنا فلا أحب أن أكون أنانيا ••

ـ انه قرارى أنا ، وكيف تقترن الأنانية بشخصك بعد أن ضحيت بالعزيز الغالى ••

فأسند رأسه الى يده وقال :

ـ ولكنى خجلان •



ولكنى أعفيك من أى تعهد سابق !



ـــ أما أنا فسعيدة جدا •

وقالت عليات :

ـــ صدقها ؛ انى مطلعة على مكنون قلبها ••

وكانت فى الخارج تعصف رياح مزمجرة ثم هطلت الأمطار خمس دقائق صفا بعدها الجو وتفشى الدفء والنقاء وشـذا السماء • وآوى ابراهيم الى فراشه وسرعان مانام نوما عميقا . وبقيت عليات وسنية فى حجرة الجلوس وحدهما ، وبين أيديهما ابريق شاى وطبق مملوء بالفول الأخضر • وتبدت سنية سعيدة ، وجياشة الصدر بعواطف لم تفصح عنها بعد • وانبعث فى صدرها ينبوع الهام فأشعرها بشجاعة متحدية وفدائية . قالت :

ـــ انى أفكر ••

فرمقتها عليات مستطلعة فقالت :

ـــ لا أريد أن أخدعه !

ففزعت عليات قائلة :

ـــ كلا ••

ـــ لا أريد ••

فقاطعتها بخوف :

ـــ أخى رغم شبابه متشبع بآراء أبى وأمى فى هذه المسألة بالذات فلن يفهمك أبدا ••

ـــ أعتقد العكس ••

ـ كلا ، حسبك أنك مخلصة له حقا .

فتساءلت سنية فى ارتياب :

ـ أليس من حقه أن يعلم ؟

ـ كلا ؛ لا أعترف بحق لا يجلب الا الشقاء ، وهو لن يفهمك !

ـ واذا تراءى له أن يسأل ؟

ـ حسبك أنك مخلصة له ، والاخلاص يجب ما كان قبله ..

وتفكرا معا فى صمت وقلق حتى قالت عليات :

ـ لم نشق باللهو فلا يجوز أن نشقى بالحب الحقيقى ..

ولمست فى نبرتها حسرة على تعاستها فقالت متأثرة :

ـ ستجدين الحب مرة أخرى ، انه مع الحياة دائما !

ـ كوارث السلام لا تقل عن كوارث الحرب ..

ـ أعتقد أن كارثة حلت بأخى مرزوق وهو لا يدرى ..

فهزت عليات رأسها فى أسى ثم قالت مستسلمة لذكرى هفت على قلبها فجأة :

ـ والدكتور على زهران ضحية من ضحايا العبث ..

وتذكرت سنية منى زهران فجرت على شفتيها ابتسامة فسألتها عليات عما جعلها تبتسم فقالت :

ـ قرارات منى زهران !

فضحكت عليات وقالت :

ـــ عليها أن تعلن نشرة يومية عن تذبذبات ارادتها ..
ـــ هل تظنينها قطعت الأستاذ حسن حمودة نهائيا ؟
ـــ أعتقد أنها ستتزوج من سالم على فى أقرب فرصة .
ـــ رغم جنونها فهو قرار حكيم ..
ـــ كلاهما مجنون .
وساد السكوت قليلا حتى سألت عليات :
ـــ متى يتزوجان ؟
ـــ منى وسالم ؟
ـــ مرزوق وفتنة !
فأجابت سنية فى وجوم :
ـــ لا أدرى .. يقال انهما سيتزوجان عقب الانتهاء من تصوير الفيلم !
وشعرت سنية بأسى سرعان ما جفف ينابيع الهامها ..

- ٢٦ -

دعى الأستاذ حسن حمودة لتناول العشاء بفيلا الصحفى صفوت مرجان بشارع أحمد شوقى • انعقدت الجلسة فى الفراندة المطلة على الحديقة ، فجلس حسن حمودة بين صديقيه صفوت وحرمه نهاد الرحمانى. تناول طعامه بشراهة وشرب كثيرا وصمم طيلة الوقت على التظاهر بالاستهانة وتجاوز الأزمة • وقال له صفوت مرجان :

ــ خشيت أن أجدك تعيسا •

فقال ببساطة توحى بالصراحة :

ــ لا وجه للتعاسة !

ثم مستدركا :

ــ مسألة كرامة ليس الا !

الحق أنه لم يتصور أن يجد نفسه فى الموقف الذى خلقته له منى • كان بصدد تحديد يوم الزواج ، وقرر الاحتفال به فى الأوبرج ، وعلم بذلك الأهل والأصدقاء والزملاء • وعندما جابهته بجرأتها المعهودة معتذرة صعق تماما • صعق وذهل •

توسل اليها أن تراجع نفسها • وكان أحبها وامتلأ اعجابا بها وحلم بحياة سعيدة معها • أى لعنة ! • أكتب عليه أن يعانى فى الحب ما عاناه فى السياسة ؟ ! •

وسألته السيدة نهاد الرحمانى :

ــ وماذا تنوى بعد ذلك يا عزيزى ؟

فأجاب برزانة :

ــ سألوذ بالجبل كمجرمى وطنى الصعيد ثم أقطع الطريق على الرائح والغادى •

فضحك الأستاذ صفوت مرجان وقال يداعبه :

ــ مالك أنت وبنات اليوم ! ، احمد ربنا على تلك النهاية !

وقالت له نهاد :

ــ خير ما تفعله الآن أن تتزوج زيجة معقولة قبل أن يفوتك القطار •

فتساءل بامتعاض :

ــ معقولة ؟ !

ــ أعنى أن تناسبك فى السن والأسرة •

فقال لها صفوت :

ــ يبدو أن عندك عروسا !

ــ العروس الصالحة توجد دائما ، ماذا تظن ؟

فقال حسن حمودة :

ـ أمهليني حتى تمضى فترة الانتقال •

وقال لنفسه ساخرا ان قانون الأشياء يقضى بأن يتزوج صفوت الاشتراكى عن امرأة مثل نهاد من أسرة أما هو فعليه أن يتزوج من احدى بنات الشعب ! • واذا بصفوت يقول :

ـ حكاية منى معك تعيد حكاية قديمة حدثت منذ عشرين سنة ••

فبهت حسن حمودة ثوانى ثم ضحك أما نهاد فتساءلت :

ـ أى حكاية ؟

فأجاب صفوت :

ـ حكاية قديمة كان حسن بطلها !

فقال حسن ساخرا :

ـ كنت الوغد لا البطل ••

فسأله صفوت :

ـ ماذا كان اسمها ؟ ، لقد نسيته تماما ••

فقال حسن :

ـ سمراء وجدى •

فقالت نهاد :

ـ لم أسمع باسمها ولا بقصتها •

فقال صفوت مرجان :

ــ كنا طلبة بالحقوق ، وعشقها صاحبنا : وكانت من أسرة كبيرة وان كان فرعها الخاص لا يملك شيئا ..

فتساءلت نهاد :

ــ وخطبها ؟

ــ عشقها فقط ، وكان عشيقا جريئا ، يتسلل اليها ليلا فى قصر عمها على النيل والناس نيام ..

ــ ألف ليلة وليلة .. الله .. الله ..

وذات ليلة شعر به الخفير ، طارده ، أطلق النار ، أصابت الرصاصة خد الفتاة ولاذ صاحبنا بالفرار ، وعند التحقيق قالت انها شعرت بخطوات غريبة وأنها خرجت لتتادى الخفير فأصابتها الرصاصة !

ــ رائع !

ــ ولكن وجهها تشوه ، أو خدها على الأقل ..

ــ مسكينة !

ــ وكما هرب الأستاذ من القصر هرب من حياتها ..

ــ من حياتها ؟ !

ــ والى الأبد .

وهمت بالتعليق ولكنها أمسكت ، ولحظ حسن ذلك فقال ضاحكا :

ــ انطقى بالحكم ، سمعت كل ما يمكن أن يقال .

فقالت :

ـــ كان عليك أن تتمسك بها !

ـــ كان لهوا لا حبا وكنت مجنونا بالشباب ، وها أنا أعامل بالمثل !

فسأله صفوت مرجان :

ـــ ترى ماذا كان مصيرها ؟

فقال حسن :

ـــ انها تملك اليوم محلا لبيع لوازم السيدات بشارع شريف.

ـــ ألم تجمع بينكما مصادفة ما ؟

ـــ مرة منذ سنوات فى مشرب بيجال وتجاهلتنى تماما ..

فقالت نهاد :

ـــ لست قاسيا فيما أعلم .

ـــ الحق أنى لم أخل من ألم وتنغيص ، حتى تراكمت على المصائب بقدوم الثورة المباركة فطهرتنى من الألم بما هو أشد وافظع ..

فقالت نهاد :

ـــ أمامك فرصة نادرة فتزوج منها .

فضحك عاليا وقال :

ـــ نهاية ممتازة لميلودراما ، أما الواقع فانها اليوم قوادة يشار لها بالبنان !

ــ قوادة ؟ !

ــ قوادة هاوية •

فسأله صفوت :

ــ ماذا تعنى ؟

ــ بيتها خلية للبنات ، لها عليهن سيطرة أسطورية ، وتسهر معهن فى بيوت الأصدقاء ، بدافع اللهو والعبث لا المال !

ــ يا لها من نهاية !

ــ وسمعت بأنها تقول ساخرة ان عصر البراءة قد زال مع الرجعية والاقطاع والاستعمار !

وسألته نهاد :

ــ ألا تعتبر نفسك مسئولا عن تلك النهاية ؟

ــ كلا يا عزيزتى ، كان يمكن أن تكون زوجة أو مجرد صاحبة محل مستهترة ، أو قديسة ••

فيثم يثيرون هذا الحساب العاطفى من أجل ماض ميت وينسون ما أعانيه فى قلبى وكرامتى ! ، أليست سمراء وجدى بأسعد منى ألف مرة ؟ • ألم تفقد أسرتنا ابن أخت فى غارات الأعماق ؟• كما مات أبى وكما لوثت سمعتنا ظلما وبهتانا • غير أن أخطر شىء أن يستسلم المرء لعاطفة حب خائب وهو فى الأربعين • والتفت نحو صفوت فسأله :

ـــ ماذا عن الأخبار ؟

فأجاب الرجل الذى لرأيه وزنه دائما •

ـــ لا جديد ، ولكن الأمور تتحسن فيما أعتقد •

فقال حسن حمودة بضيق :

ـــ الله يسامحك •

فضحك صفوت من أعماقه وقال :

ـــ نسيت أننى أخاطب رجلا هواه مع جيش اسرائيل ضد جيش مصر •

فتساءل وهو لا يخلو من شعور بالاستياء :

ـــ أهذا هو تصويرك لموقفى ؟

ـــ المسألة مسألة موقف وطنى قبل كل شيء •

ـــ أى موقف وطنى ! ، اما الديمقراطية أو الاشتراكية ، أمريكا أو روسيا ، واذا كان من حقكم أن تحبوا روسيا فلم لا يكون من حقنا أن نحب أمريكا ؟ !

فقال صفوت بجدية :

ـــ المهم ما يريده الشعب •

ـــ أى شعب ؟

ـــ الشعب ، الشعب التحتانى الذى لا تعرفه •

وفاض قلبه بالتهكم والمرارة ، والكراهية والسخط ، وفى

تلك اللحظة كره كل شيء ؛ حتى الحديقة التى تضوع بشذا زهر البرتقال ، والليل الرطيب ، وصفوت مرجان ، وحتى نهاد الرحمانى ، وقال لنفسه صبرا ، ففى غمضة عين قد تقع كارثة لا تخطر على بال ..

– ٢٧ –

شهدت عليات حفلى زواج فى أسبوع واحد ، حفل متواضع جمع بين أخيها الضرير وسنية . وحفل أقيم فى بهو عمر الخيام جمع بين منى زهران وسالم على . وقالت انه مهما يكن من شأن الصداقة التى تربطها بسنية ومنى فلن تبقى هى هى بعد الزواج ، هكذا تعلمت من تجارب سابقة ؛ فشعرت بفراغ مروع لم تشعر بمثله من قبل . وكرهت فكرة العودة الى اللهو والعبث فالحق أنها كانت تتوق الى الحب . وزارت الأستاذ حسنى حجازى مساء بناء على دعوة تلقتها منه تليفونيا وهى فى الوزارة . تلقاها بحنان قبل وجنتيها ، وهو يقول :

ـــ توقعت أن تزورينى من زمن ..

لما لم تجب سألها :

ـــ ماذا تفعلين ؟

فقالت بفتور :

ـــ آكل وأشرب وأنام •

ـــ يجب أن نتعلم من مرارة الأيام التى نتجرعها ألا نحزن أكثر مما ينبغى مهما يكن المصاب !

فقالت بالفتور نفسه :

ـــ انى أتعلم ولكن التعليم كما تعلم يحتاج الى زمن •

ـــ أنت شجاعة وأنا مطمئن الى مستقبلك ••

وضحكت على رغمها فنظر اليها مستطلعا :

ـــ ماذا أضحكك ؟

ـــ ماأجملك فى ثوب الواعظ !

فتساءل وهو يمضى الى البار ليملأ قدحين من كوكتيله المشهور :

ـــ ترى هل سمعت هذا القول من قبل ؟

ـــ لم دعوتنى ؟ •• هل وراءك فيلم جديد ؟

فقدم لها القدح قائلا :

ـــ انى أفكر فى مستقبل بناتى ولا أنساهن كما ينسيننى ، لذلك حدثت المخرج أحمد رضوان فى شأنك !

فاشتعلت عيناها فى اهتمام ودهشة وتمتمت :

ـــ شأنى ؟

ـ قلت انك فتاة ممتازة وجميلة وتصلحين للشاشة !

فهتفت فى ذهول :

ـ أنا !

ـ أنت طبعا ..

فضحكت بعصبية وقالت :

ـ لا أتصور ، لا أستطيع ..

ـ وهل كان مرزوق يتصور أو يستطيع ؟

ـ لست ممثلة .. ثم أنسيت أبى ؟

ـ سيثور طبعا ، ويرفض ، وسأحدثه طويلا ، وسوف يذعن فى النهاية !

ـ انه أصلب مما تتصور ، ولكنه ليس العائق الحقيقى ، العائق هنا ..

وأشارت الى نفسها فقال :

ـ لندع الأمر للتجربة ..

ـ اذن فأنت جاد ؟

ـ وهو على استعداد لاختبارك !

ـ وما الذى جعلك تفكر فى ذلك ؟

وهو يضحك :

ـ حتى لا تقتصر حياتك على الأكل والشرب والنوم !

ودارت قلقها بالضحك فقال :

ـ توقعت أن تتحمسى أكثر من ذلك فالحياة تطالبنا بالحماس حتى فى أسوأ الظروف •

وشربا معا • وأغمضت عينيها لتفكر وراح هو يتمشى بين البار والتلفزيون • فتحت عينيها فالتقت بعينيه فسألها :

ـ ماذا قلت ؟

ـ ليكن ، ليس فى الامكان أسوأ مما كان •

فضحك وقال :

ـ الغم يخلق حكما جديدة •

فقالت :

ـ الشوارع فى شبه ظلمة !

ـ لا يمكن أن تفهمى شيئا أو تستنتجى شيئا ••

ـ المستقبل ملىء بكافة الاحتمالات •

ـ فى مثل هذه الظروف يحسن العناية بكل دقيقة خالية من كارثة ••

ـ الأقاويل كثيرة جدا •

ـ لو ضربت القاهرة فستقوم القيامة •

ـ مسكين أخى ، ربنا يأخذ بيده ••

فقال حسنى حجازى بجدية :

ـ استدعى ابن أخى الأكبر أمس للتجنبة أما أختى وهى

أرملة غنية غقد فعلت المستحيل لتجنب بكريها التجنيد وذلك بارساله الى كندا كمهاجر .

ـ كيف أمكنها ذلك ؟

ـ فضحك ضحكة قصيرة وقال :

ـ تخيلى الأمر بنفسك ! المهم أنه قتل فى الأسبوع الماضى فى حادث تصادم !

فندت عنها آهة تعجب فقال حسنى :

ـ اضحكى أن شئت !

فتساءلت :

ـ هل تنقصنا روح القتال ؟

ـ زوار الجبهة يلمسون روحا عالية ولكن الأهالى يعيشون غى بلبلة !

ثم استدرك بنبرة يقين :

ـ ولا تنسى الفدائيين فهم معجزة هذه المرحلة !

ودق جرس الباب الخارجى فمضى اليه باهتمام وهو يقول :

ـ أظنه أحمد رضوان ، كونى شجاعة من فضلك !

٢٨

شهدت فتنة ناضر اليوم الأخير للتصوير وحدها اذ لم يكن لمرزوق دور فى ذلك المشهد • وانتهى العمل حوالى منتصف التاسعة مساء فتبودلت التهانى ، وشربت أكواب الشربات ، ووزع أحمد رضوان نقودا على العمال • ودعا فتنة الى فنجان شاى فى البوفيه فغيرت ملابسها ولحقت به ، وجلسا معا يحتسيان الشاى ويتناولان البسكوت • وساءلت نفسها أهى جلسة الوداع ؟ • وكانت ثمة أنباء نمت اليها عن أنه يعد مفاجأة فى الوجوه الجديدة بقصد القضاء عليها فلم تكترث كثيرا ، مطمئنة الى ما أحرزته من نجاح بين الجماهير • وفى الوقت نفسه تمنت لو تتفادى من تطاحن سخيف لا معنى له ، تمنت أن يثوب الى رشده ان يكن ذلك فى الامكان • وكان يلاحظها طيلة الوقت فسألها :

ـ ترى فيم تفكرين ؟

فأجابت بصراحة :

ـ كيف يمكن أن نظل أصدقاء ؟

فقال بامتعاض :

ــ الصداقة لا تصلح بديلا عن الحب •

ــ يجب أن تحاكمنى بعدالة •

ــ أهذا يعنى أنك ستتزوجين حقا ؟

ــ صارحتك بذلك فى حينه •

فقال محتجا :

ــ ولكننى لم أكن فى حياتك شيئا على الهامش !

فاعترفت قائلة :

ــ لا جدال فى ذلك ، نور نجاحى مستمد من روحك !

فقال برجاء :

ــ أشكرك ، ولكن لم الزواج يا فتنة ؟ ، لا داعى للزواج يا فتنة !

ــ يخيل الى أنك لم تصدقنى بعد •

ــ يعز علىّ تصديقك •

ــ لا تصدق أن الجنون ممكن ؟

فقال باستسلام :

ــ بما أننى مجنون فأنا أومن بالجنون ولكن ••

وتوقف فتساءلت :

ــ ولكن ؟ ••

ـ ولكن هل يبلغ الجنون حد الاستهانة بالمستقبل ؟

ها هو يعود للتهديد ! •• هو هو لا يتغير • وقالت :

ـ المستقبل بيد الله وحده ••

فقال ساخرا :

ـ يعجبنى ايمانك !

فلم تضحك ، فأدنى رأسه اليها وقال :

ـ اذن فلتبق علاقتنا كما كانت !

فقالت باستياء :

ـ ولكنى جادة يا أستاذ !

فقال بحنق :

ـ اذن لم تكونى جادة فيما مضى ؟

فتنهدت ولم تنبس فتمتم مغيظا محنقا :

ـ اللعنة ••

ثم منذرا :

ـ أخشى أن تنطفىء الشعلة فى صدرينا معا !

ـ ان صدقت نيتنا على النجاح فلن نلقى ما نخشاه •

ـ أعتقد أنك لا تفهمين نفسك ؛ أنت لا تحبين الا الفن !

فتوسلت اليه قائلة :

ـ دعنى لمصيرى •

فهتف بوجه متقلص :

ــ أنت تدفعيننى الى هاوية ••

ــ أملى فى حكمتك لا حدود له ••

ــ عار أن تعترفى بزيف عواطفك القديمة ••

فقطبت فى ضيق وقالت :

ــ دعنا مما كان •

ووضعت يدها على يده وقالت :

ــ افتح قلبك لصداقة جديدة •

فقال بغضب :

ــ لا تتحدثى من الحب كأنك تجهلينه ••

فغمغمت فى يأس مسدود :

ــ لا فائدة !

فقال بوحشية :

ــ لا فائدة !

وصمتا • وساءلت نفسها كيف تنتهى هذه الجلسة التى لا تحتمل • واستدعيت للتليفون فقامت وهى تتنهد فى ارتياح • وجعل يراقبها من بعيد وهى تتكلم •

وراآها تعيد السماعة فى عجلة ولهوجة • شىء وقع • شىء ذو خطورة • أخطر مما يتصور • بصرها زائغ ونظراتها

جنونية • انها تبتعد ناسية تماما حقيبتها • وتناول الحقيبة وهرول نحوها وما كاد ينطق باسمها حتى صرخت فى وجهه :

ـ أنت •• أنت •• أنت المجرم !

وجرت نحو سيارتها كالمجنونة •

٢٩

استسلمت فتنة للكرسى المعدنى محمرة العينين • رقد مرزوق فوق سريره بالمستشفى غارق الرأس والوجه فى الأربطة • وكانت قد أجريت له جراحة معقدة فى الفك الأسفل والذقن والجبهة عقب الحادث مباشرة • وجلس فى الاستراحة المتصلة بالغرفة ابراهيم وسنية وعليات • حتى أحمد رضوان زاره ، ولما وجد الجو معاديا غادر المكان بسرعة •

ولما سئل مرزوق بعد مضى وقت مناسب قال فى التحقيق انه كان يسير فى شارع ابن أيوب فى مطلع المساء ، فى ظلام شامل ، وفى طريق خال ، حين هاجمه شخص أو أكثر ، وانهالت على وجهه اللكمات حتى غاب عن وعيه تماما ، ثم لم يسترده الا فى المستشفى • وتلقى السؤال التقليدى ان كان له أعداء

أو كان يتهم أحدا ، فأجاب بالنفى ، ولكن التحقيق جره الى ذكر قصة حبه بملابساتها ، مما استدعى سؤال أحمد رضوان بل وعليات عبده • ولم يكن الشيخ يزيد بمصر ، وأنكر أحمد رضوان أى علاقة بالحادث ، وكذلك عليات ، واستمرت المباحث فى البحث خلال جو كثيف الغموض •

وتركز القلق حول مسألة هامة شغلت عقول أهله وأحبابه ، فتساءلت سنية :

ـــ ترى الى أى حد سيتغير وجهه ؟

فقال ابراهيم عبده :

ـــ على ذلك يتوقف مستقبله •

فعادت تقول :

ـــ فتنة بكت بحرارة •

ـــ انها تبكى عليه وعلى نفسها •

ومرت فترة الانتظار ثقيلة على القلوب المحبة • وغادر مرزوق المستشفى بوجه جديد ! • رغم ما قدم الطب من معجزات فقد خرج بوجه جديد • لم يكن القبح طابعه ولكنه فقد شخصيته ومذاقه وروحه • كان ثمة تجويف صغير فى جانب الجبهة واعوجاج فى الفك أضفى عليه قسوة من غير معدنه وانحدار فى الذقن الى الخلف • وعندما رأى صورته فى

المرآة نظر اليها طويلا فى ذهول حتى امتلأت عيناه بالضباب ؛
ثم تهاوى جذعه فتقوس من اليأس وهتف :

ــ انتهيت !

وتحول الى غتنة بوجه ملؤه الخذلان وكرر :

ــ انتهيت يا فتنة !

فأحاطت عنقه بذراعيها وقالت بحرارة :

ــ كلا !

ــ انتهيت وأنت تدركين ذلك !

ــ كلا !

ــ كلا ؟ !.

ــ ربما •• ربما ••

فقاطعها متسائلا :

ــ ربما ؟

فقالت وهى تخفض عبنيها :

ــ يوجد أكثر من دور ناجح للممثل القادر مثلك •

فهتف يائسا :

ــ أنت توافقيننى على رأيى بأسلوب آخر •

فضمته الى صدرها وهى تقول :

ــ لنؤجل التفكير فى ذلك !

ــ وهل يوجد ما هو أهم ؟

فقرصته فى خده معابثة وقالت :

ـ نحن نستعد للزفاف !

فرنا اليها بذهول ، وعينه اليسرى ترتعش وتضيق ، وتساءل :

ـ ماذا ؟

ـ الزفاف يا عزيزى الجاحد !

ـ أهو مجرد عناد ؟

فصاحت بغضب :

ـ كلا ..

وساءل نفسه ترى هل تعنى ما تقول ؟ . هل تتحقق تلك المعجزات فوق الأرض ؟ . وكان صدرها بجيش بالحب والعطف والتحدى . وكانت مصممة على تحطيم درع الدناءة الصلب والبصق على وجه الشماتة الكالح . وضمته الى صدرها بقوة وهى تقول :

ـ فلنمض فى استعدادنا للزفاف !

تلقاها حسنى حجازى بين ذراعيه • أنامت رأسها فوق صدره فى استسلام فشعر بشدة توقها الى الحنان • وقال وهو يربت على ظهرها :

ـ قلق الدنيا والآخرة مطبوع فوق وجهك العذب يا عليات .

فتملصت من ذراعية وانحطت فوق الفوتيل وهى تسأله :

ـ أين كنت فى الفترة الماضية ؟

ـ سافرت الى يوغسلافيا للاشتراك فى مهرجان للأفلام القصيرة •

ـ ألم تسمع عما حدث لمرزوق أنور ؟

ـ انه حديث الوسط الفنى ، وكثيرون يتهمون أحمد رضوان ، وهو مجرد ظن لم يقم عليه دليل ، ما رأيك ؟

ـ لا أدرى ، أنا نفسى سئلت فى التحقيق !

ـ فداك نفسى يا عزيزة •

ـ وتم زواج فتنة ومرزوق •

ـ انه حديث الوسط أيضا ولكن لا يستطيع أحد أن يتنبأ بالنتيجة !

فقالت بفتور :

ـ سنية وابراهيم سعيدان ، وهى تجربة مماثلة !

ـ كلا .. ثمة اختلاف جوهرى ، ولكنك لم تحدثينى عن تجربتك !

ـ أى تجربة تقصد ؟

ـ مع المتهم أحمد رضوان ؟

فقالت باستهانة :

ـ فشلت تماما . لا ذرة من استعداد عندى للتمثيل ..

فنظر اليها باشفاق وقال :

ـ أهذا ما يحزنك ؟

ـ كلا ..

ـ ولكنك أفتقدتنى فى غيابى فلماذا ؟

ـ كنت أقرع جرسك كل مساء !

فتساءل باسما فى سخرية :

ـ هل اكتشفت أخيرا أننى معشوقك الحقيقى ؟

فصمتت . أشارت الى بطنها . ثم قالت :

ـ يوجد هنا شىء غير مرغوب فيه !

فهتف بدهشة :

ـــ كلا !

ـــ هى الحقيقة !

ـــ ولكنك حريصة دائما ..

فقالت بمرارة :

ـــ تعبت من الحرص كما تعبت من الحياة .

فجعل ينظر اليها وهو يتذكر منظر جزر الادرياتيك كما تلوح لعينى المشاهد فى دوبروفنبك فى ليالى القمر ، ثم سألها :

ـــ من ؟

ـــ لن يخطر لك على بال !

ـــ يوثانت ؟

ـــ سائح مجهول ذو لحية شقراء وشعر مضفور دعانى العشاء فلبيت !

فضحك حسنى طويلا ثم قال :

ـــ احتفظى به فسيكون درة !

ـــ كدت أجن فى غيابك ..

فقال بعطف :

ـــ غلبك الحزن أكثر مما يجوز .

فقالت بتأثر شديد منذر بالدمع :

ـــ كان التحقيق ، ثم الزواج ، وشعرت بأن الدنيا ماتت ولن تبعث .

وراح يملأ قدحين وهو حزين ، وقدم لها قدحها قائلا :
ـ صحتك !
وأفرغا القدحين معا • وقال ـ لا عن صدق ـ ولكن عن عطف حقيقى :
ـ تذكـرتك وأنا جالس فى حديقـة تحت الأرض فى دوبروفنيك فتاقت نفسى اليك بحنان عجيب !
ـ لعلى كنت أفكر فيك وأنا أقرع جرسك فلا يرد •
ـ قلبى معك ، لا تخافى يا عزيزتى ••
فتنهدت بصوت مسموع تردد كالنغمة فى جو الحجرة السحرى • وكان يروض رغبة طفرت الى أعصابه ، رغبة طارئة وناعمة فى أن يلعب الحب معها • ولم يعلنها ، وذهب الى التليفون وأدار القرص :
ـ ألو !•• سمراء ؟ •• كيف أنت ! • جميل أن تعرفى صوتى من أول كلمة •• أريدك على عجل •• الآن ان أمكن •• الى اللقاء ••
ورجع اليها وهو يسأل :
ـ أتعرفين سمراء وجدى ؟
فهزت رأسها نفيا فقال :
ـ آن لك أن تعرفيها ••

— ٣٠ —

ظل حسن حمودة أربعين عاما لا يفكر فى الزواج ولا يهتم به حتى عرف منى زهران • وبعد أن فشل مشروع زواجه منها لم يعد له من شاغل الا الزواج • وأثير الموضوع من جديد • أثارته نهاد هانم عقب عشاء دعيت اليه هى وزوجها صفوت مرجان فى قصر الأستاذ حسن حمودة بشارع الفضل بالعجوزة • وهو قصر ضخم ذو حديقة كبيرة ورثه عن أمه ؛ ويقيم فيه وحده مع الخدم • وهو يمتاز بحيازته لطاه فاخر خليق بأن يعتز به مطعم عام من مطاعم الدرجة الأولى • وهو أكول وذواقه للطعام الجيد ، وتماثله نهاد فى ذلك ، بخلاف صفوت الذى يقنع بكأسين من الويسكى ومختارات من الشواء والخضر والفاكهة •ودار الحديث عن الزواج وكان هو الذى فتحه برغم ما عرف عنه من ولع خاص بحديث السياسة الذى لا ينتهى • قال لها :

— أود أن أسمع آخر أنباء عن عروسك !

فقال صفوت :

— أراهن على أنك ستتزوج قبل نهاية هذا العام •

وقالت نهاد هانم :

ــ هى أرملة وأم لبنت وحيدة فى الجامعة ومن أسرة كبيرة مثل سعادتك ..

فغلبه الفتور وقال :

ــ لن يقل سنها عن الأربعين .

ــ هى فى الأربعين !

فقال محتجا :

ــ ولكننى فى الأربعين وتلزمنى عروس شابة .

فقالت نهاد ضاحكة :

ــ لست خاطبة .

وقال صفوت :

ــ عليك أن تجدها بنفسك فى سينما أو فى مرقص أو فى الطريق !

فقال يائسا :

ــ لا وقت عندى للبحث ،ولولا جناية دعيت للدفاع فيها ما عرفت منى زهران ..

فقالت نهاد :

ــ ما عليك الا أن تنتظر جناية أخرى .

وسأله صفوت :

ــ ولكن هل تناسبك فتاة من هذا الجيل ؟

— لم لا ؟

— لهن رؤية جديدة فى الحياة والحب •

فقال بلا تردد :

— أنا فى هذا المجال تقدمى أكثر مما تتصور !

فضحك صفوت مرجان وقال :

— لست أول شخص يجمع فى ذاته بين الرجعية فى السياسة والتقدمية فى الحب !

اكفهر وجهه الأسمر الغامق ، وازداد اشعاع عينيه حدة • أثارته — كما تثيره عادة — تهمة الرجعية • انه يعتبر الديمقراطية غاية التقدم ، وما عداها نوعا من النازية أو الفاشستية • وهو يفهم الديمقراطية على أنها أسلوب من التعامل بين الصفوة فى المجتمع • الصفوة من أصحاب المصالح الحقيقة وأهل الفكر والثقافة • أما عامة الشعب فلا يعترف بهم ولا يعمل لهم حسابا فى قائمته الانسانية • لذلك لم يحن هامته أمام الموجة الشعبية الهائلة التى أطلقتها الثورة • وكان يسخر من بعض أهل طبقته الذين تأثروا بها فراحوا يهزون شجرة الأسرة بعنف لعلهم يعثرون على غصن فقير •• «شعبى» يلوذون به فى الاعصار العاصف الذى يقتلعهم من جذورهم • كان يعتز دائما بأصله الرفيع ، والعمالقة من أعمامه وأجداده ، وينظر الى الأشياء والناس نظرة أرستقراطية متعصبة • وقد

انتشلته ملحظة صفوت مرجان العابرة من حديث الزواج فردته الى موضوعه الأبدى وهو السياسة فقال :

ــ الديمقراطية الأمريكية رجعية ؟ ! ، أمريكا أمة علمية ، وقد تجاوزت منعلم خزعبلات الشيوعية ونبوءاتها الكاذبة ..

فقالت نهاد :

ــ نحن لا نكف عن الكلام ، لا أحد يتكلم مثلنا ، والغارات تمتد الى أعماق بلادنا ..

فقال حسن حمودة بحنق :

ــ المسألة أننا أمة مهزومة ولكنها تأبى الاعتراف بهزيمتها !

ثم نظر الى صفوت وسأله :

ــ متى نعترف بالواقع فى تقديرك ؟

فأجاب صفوت وهو يشعل سيجارة :

ــ سيخطو الروس خطوة جديدة وهامة فى تقوية دفاعنا .

الروس أيضا !. انه يكره الروس أكثر من الكوليرا . ولولاهم لكان ٥ يونية يوم السعادة الحقيقية والفردوس المفقود . وسأله :

ــ هل نصمد حتى تصل المعونة الروسية الجديدة ؟

فقال صفوت بثقة :

ــ لن يسمحوا بهزيمتنا مرة أخرى !

ــ مبارك عليكم هذا الأمان !

فضحك صفوت وقال :

ـ الروس لا يستغلون ..

وقهقه حسن حمودة عاليا . اعتدها نكتة فروح بالضحك عن حقده المشتعل . روح بالضحك عن أحلامه الدموية المكبوتة . وكانت نهاد تمل حديث السياسة بسرعة فسألته بنبرة مرحة :

ـ لم لا تعلن عن رغبتك فى الزواج فى احدى المجلات ؟

فضحك حسن ، وضحك صفوت ثم قال تأييدا للفكرة :

ـ أقترح الاعلان الآتى :

ح. ح. محام ناجح ، غنى ، من أصل أرستقراطى ، فى الأربعين من عمره ، أمريكى الهوى اسرائيلى الرؤية ، يرغب فى الزواج من فتاة فى العشرين ، مثقفة عصرية ، جميلة .

فواصل حسن ضحكة وقال :

ـ سيجيئنى الرد من وزير الداخلية !

ـ ٣٢ ـ

أمضى مرزوق وفتنة شهر العسل فى أسوان ، ولما رجعا الى القاهرة أقاما فى شقة بشارع فنى وتأهبا لمواجهة الغيب . وكان مرزوق قد استرد كثيرا من الثقة المفقودة وتألقت فى خياله أحلام غير شاحبة . ودعيت فتنة للقيام ببطولة فيلم فاقترحت

أن يلعب مرزوق الدور الأول أمامها ولكن اقتراحهـا رفض بأسلوب اعتدته غير مقبول فرفضت الفيلم بحلف • وتكرر ذلك مرة أخرى فى نفس الأسبوع ! • عند ذاك رأى مرزوق أن الأمر يستحق المناقشة • تزعزعت ثقته وتبخرت أحلامه فأقبل على المناقشة بقلب جاف وتصميم يائس • قال لها :

ــ لا يجوز أن ترفضى فيلما بعد الآن والا ••

فقاطعته :

ــ انى مؤمنة بأنك ستكون عنصر نجاح •

ــ المهم أن يؤمن الآخرون ، فاقترحى اذا شئت ولكن لا ترفضى ••

وشعر بأن النجاح الذى أحرزه انما يخص شخصا آخر لا علاقة له به • وبحسرة قال لها :

ــ يحسن بى أن أفكر جديا فى وظيفتى التى لم أشغلها ••

فقالت بارتياع :

ــ تعمل ست ساعات بسبعة عشر جنيها !

ــ على أن أتوافق مع الواقع مهما يكن مرا !

ورفض من بادىء الأمر أى مغامرة سخيفة أو تفكيرا جنونيا • قال :

ــ واضح أننى لم أعد صالحا للبطولة •

فقالت برقة :

ــ توجد أكثر من بطولة فى الفيلم ولكن حذار من الأدوار الثانوية فهى شرك لا فكاك منه ••

أجل هى شرك • وهذا المسكن الأنيق شرك أيضا • وحبه الذى ضحى فى سبيله بانسانيته شرك ثالث • وتجهمته الحياة لحد التقزز •

ودق جرس التليفون • كان المتكلم أحمد رضوان !! • وكان يستأذن فى زيارة • ونظرت نحو مرزوق مستطلعة فقال رغم انفعاله الشديد :

ــ اذا كان لعمل فليحضر ••

وجاء فى الميعاد • وانحنى باحترام تحية متجنبا ــ فى الوقت نفسه ــ مغامرة المصافحة • وجلس فى أدب لا منتفخا ولا مزهوا • وقال :

ــ توجد غشاوة من سوء الظن •

ونقل بصره بينهما ثم قال :

ــ علينا أن نبددها ، لأنه لا مبرر لها ، ولأنه لا غنى لنا عن العمل المشترك !

لم يسمع تعليقا • شعر بجمرات النظرات تلسع وجهه فقال :

ــ كان استدعائى للتحقيق سخفا ، آلمنى جدا ، كما يجدر بانسان برىء بكل معنى الكلمة ••

ولما لم يسمع كلمة التفت نحو مرزوق وقال :

ـ لست مجرما ، أنا فنان مثلك ، وحبى لزملائى مضرب الأمثال ..

تنبهت فتنة الى أنها لم ترحب به ولم تقدم له شيئا فأشارت الى البار وقالت :

ـ معذرة ، اشرب شيئا ..

وقام الى البار فتناول زجاجة الكورفوازييه شرابه المفضل فملأ كأسا ثم عاد فواصل حديثه الموجه الى مرزوق :

ـ يوجد أكثر من شخص يمكن أن تحوم حوله الشبهات ، البراءة لم تسعدنى ، بما يهمنى حقا هو أن تقتنع أنت ببراءتى ..

لم يسمع الا أنفاسا تتردد فانطبع الأسف فى أساريره وقال :

ـ افتح لى قلبك وصارحنى بما فيه .

وثبت عليه عينيه حتى قال مرزوق :

ـ لم أعد أفكر فى الأمر تاركا غوامضه للشرطة !

ـ عظيم ، لننتظر ، أنا مطمئن تماما ، ولنتكلم الآن فى العمل !

وشرب كأسه دفعة واحدة ونظر الى فتنة وقال :

ـ كانت بيننا مشروعات مشتركة !.

فهزت رأسها بالايجاب فقال :

ـ ماذا يمنعنا من التنفيذ ؟

فقالت بهدوء :

ــ الجواب عندك .

فأشارت الى زوجها وقالت :

ــ كان أيضا ضمن المشروعات .

فقال بثقة :

ــ سيكون له دور محترم !

ــ أحب أولا أن أدرس دوره فى السيناريو !

ــ عظيم ، ولكن أوصيك بالمرونة والحكمة ، انتاج فيلم فى هذه الظروف الكئيبة مغامرة يستحق القائمون بها كل تقدير ، فى أى لحظة ، ونتيجة لهجوم أو غارة قد يتوقف العمل فى الفيلم ، وربما فى عالم السينما كله ، والعاقل من يدرك ذلك .

فقالت بهدوء وتصميم :

ــ قلت رأيى يا أستاذ أحمد .

ــ تذكرى أن همومنا صغيرة اذا قيست بالويلات التى تنصب على الوطن !

فقالت ضاحكة على رغمها :

ــ لا أذكر أنك اهتممت بالويلات من قبل !

فتساءل محتجا :

ــ أهذا كلام يوجه لرجل أخوه يعمل فى الجبهة ؟

وقام فانحنى مرة أخرى محييا ثم غادر المكان .

- ٣٣ -

تعرفت عليات على حامد فى بيت منى زهران بالزمالك • كانت دعوة للعشاء حضرتها سنيه وعليات ؛ وشهدها حامد باعتباره شقيق سالم زوج منى • ومن باديء الأمر اهتم حامد بعليات اهتمام اعجاب • وأوصل الفتاتين الى محطة الباص ، وفى أثناء الطريق أعلن عن رغبته فى مقابلة عليات لمزيد من التعارف • وهو ما شجعت عليه سنية ـــ فتم الاتفاق على ذلك • وتقابلا عند الأصيل فى ميدان طلعت حرب ، وسألها أين تفضل أن يجلسا ، فاقترحت دار الشاى الهندى ، ربما لتفاؤلها بها بعد أن جمعت بين منى وسالم • وكانت معلوماته عنها لا بأس بها : مثل درجتها العلمية ووظيفتها بالشئون الاجتماعية وغير ذلك من المعلومات التى اعتقدت أن منى بلغتها اياه • ودهشت وهو يحدثها عن وظيفته البسيطة بسكرتارية مؤسسة التى لم تتناسب مع حديثه الذكى المثقف • سألته :

ـــ من أى كلية ؟

فقال بلا ارتياح :

ـ الثانوية العامة فقط !

فارتبكت قليلا وقالت :

ـ الحق أنك مثقف جدا .

ـ ذاك شيء آخر .

وقرأ في عينيها تساؤلات تداريها بأدبها فقال :

ـ عقب حصولي على الثانوية العامة اعتقلت !

فتساءلت باهتمام :

ـ لم ؟

فقال ضاحكا :

ـ بتهمة الشيوعية !

فنظرت اليه بحب استطلاع واشفاق فقال :

ـ لم أكن شيوعيا عندما اعتقلت بتهمة الشيوعية .

ـ ذلك مؤسف بقدر ما هو غريب .

فقال باسما :

ـ بقدر ما أنت جميلة ..

وساءلت نفسها كم مرة سمعت هذه الجملة . ولكن كم مرة قيلت لوجه الجمال وحده ؟ ، قالت :

ـ لا تبالغ .

ـ من أول نظرة شعرت بأنه سيكون لك معي شأن .

فقالت ببساطة :

ــ شكرا ••

ثم مستدركة فى تساؤل :

ــ ولكن كيف سقطت عليك تهمة الشيوعية ؟

ــ لا أدرى •

ــ لم أكن أتصور أن الأخطاء تقع بتلك السهولة •

فقال متهكما :

ــ كل شىء ممكن •

فتجلت فى عينيها العسليتين نظرة تشع سخرية ومرارة معــا •

قال :

ــ كنت فى الثامنه عندما قامت الثورة فأنا أحد أبنائها ••

وتبادلا نظرة طويلة قال بعدها :

ــ منى زوجة أخى معجبة بك ، وحدثتنى أيضا عن أخيك البطل •

ــ انه يشق طريقه فى الظلام بارادة قوية •

ــ وأثارت اعجابى أيضا بزوجته ••

ــ أحيانا يرتفع الحب بالانسان الى ذروة عالية •

ــ أظنه كذلك دائما ••

ــ كلا ، ليس دائما ••

فقال باسما :

ـ لا داعى للتشاؤم فانى أكرهه •

ـ حسن •

واحتسيا الشاى وتناولا أربع قطع من الجاتوه ، وتبادلا فى أثناء ذلك نظرات موحية •

ثم سألته :

ـ هل جندت ؟

فأجاب باقتضاب :

ـ كلا •

ثم مستدركا :

ـ عينى اليسرى لا تكاد تبصر ••

فسألته باشفاق :

ـ مرضت بها ؟

ـ فقدتها أو كدت فى المعتقل !

فارتسم الذعر فى وجهها فقال باسما :

ـ أستطيع أن أعجب بك بعين واحدة فضلا عن عين وربع !

ـ ومع ذلك فأنت برىء من الشيوعية !

فضحك وقال :

ـ عندما أفرجوا عنى كنت قد انقلبت شيوعيا فى نظرهم •

وضحكت فضحك . وبدت لهما الأمور فى غاية من الفكاهة .
وعند ذاك سألها :
ــ ماذا تفضلين ، السينما أم الرقص ؟
فقالت بعذوبة :
ــ ليس الليلة من فضلك ..

ــ ٣٤ ــ

نظر حسنى حجازى الى القادمة بدهشة ، ثم فتح ذراعيه فتعانقا بحرارة ، ثم تملصت من ذراعيه فسبقته الى حجرة الجلوس وهو يقول فى أثرها :
ــ عزيزتى سمراء وجدى ، أى سعادة ..
وأسكتت الراديو وهى تسأله :
ــ كنت تسمع آخر أنباء الغارات ؟ ، بى شوق نهم الى كوكتيلك .
فاتجه الى البار وهو يقول :
ــ أول مرة تحضرين فيها وحدك !
فقالت بنعومة وهى تتناول كأسها :
ــ انما أجىء هذه المرة من أجل نفسى لا من أجلك .

متوسطة القامة . رشيقة كلاعبة فى سيرك ، بيضاء موردة . من الأمام ومن الناحية اليسرى تتبدى جمالا أنيقا نبيلا ، أما عارضتها اليمنى فمشدودة فى تقلص ، مدبوغة باحمرار ضارب للسواد ، وبها بقع منفرة ونتوءات كالدرن . جلست واضعة رجلا على رجل وهى ترنو اليه بغموض وتحفز حتى أثارت حب استطلاعه الى أقصى حد . قال وهى واقف أمامها :

ـ ما أسعدنى بك يا سمراء .

ـ لا تكذب ، أنت تسعد بالعصافير التى أجىء بها ..

ـ ولكنك تعلمين كم أحبك وأحترمك .

فقالت ساخرة :

ـ لا يهمنى الاحترام !

ـ لا شىء يرفع من شأن الانسان كالمأساة .

ـ لا تذكرنى بأشياء لم أعد أتذكرها .

فقال بلهجة صادقة :

ـ نحن فى زمن خسيس معبوده المال ، وبوسعك أن تربحى منه الآلاف ، ولكنك تجودين بكل جميل من أجل اللهو والحب لا المال ، أنت من كوكب آخر ..

فقالت ضاحكة فى سرور :

ـ أنا صاحبة محل وغنية ..

ـ لا تبخسى حقك من الثناء ، لو أردت لبلغت درجات أخرى من الغنى لا يقاس بها غناك !

فقامت بنفسها الى البار لتملأ كأسها من جديد ثم عادت الى مجلسها وهى تقول :

ـ اسمع يا عزيزى الكهل الفاسق ، انما قصدتك لمسألة تهمنى شخصيا !

ـ فى خدمتك ، لعلك تريدين مشاهدة آخر الأفلام .

فقالت بهدوء ، وهى تنفذ الى روحه بنظرة عينيها :

ـ أريد عليات !

لاح لأول وهلة كأنما يحاول تذكر صاحبة الاسم فقالت بتحد :

ـ الفتاة التى دعوتنى لاجهاضها !

ـ آه ، ولكنى لا أدرى عنها شيئا تقريبا الا اذا جاءتنى بنفسها ، هل لى أن أتطفل فأسأل عن السبب ؟

فقالت ببساطة :

ـ الظاهر أنى عشقتها .

فضحك حسنى ثم تساءل :

ـ ترى هل تحب هى ذلك ؟

ـ عندى أمل !

ــ أليس لديك من البنات ما ..

فقاطعته بحدة :

ــ ما هذا الكلام الفارغ الذى لا يتوقع من كهل فاسق مجرب مثلك !

ــ معذرة : ولكنها كانت بين يديك ؟

ــ زارتنى مرة فى المحل للشكر ثم اختفت ..

ــ لعلها اختفت متعمدة ..

ــ كيف أتصل بها ؟

ــ أعدك بأن أبلغها رغبتك فى زيارتها اذا زارتنى يوما .

فقالت بغضب :

ــ لا جدوى منك : أنانى تأخذ ولا تريد أن تعطى ، وتنسى أيادى البيضاء عليك !

ــ سعيت يوما الى تزويجك من رجل ممتاز .

ــ أنت تعلم أننى لا أحب الرجال فلا تمن علىّ !

فتفكر قليلا ثم قال :

ــ أعرف مثلا أنها موظفة بالشئون الاجتماعية ولكننى لا أدرى فى أى فرع هى ولا ما هو عنوانها ، وتتناهى الى بعض أخبارها أحيانا عن طريق والدها نادل مقهى الانشراح بشارع الشيخ قمر .

فقالت باهتمام :

ـ سأنتظر مكالمة تليفونية منك •

وتبادلا نظرة طويلة ثم قال لها باسما

ـ اشربى كأسك يا عزيزتى !

- ٣٥ -

الحياة تظلها سحب دكناء من القلق والمخاوف الصامتة • بذلك شعر مرزوق أنور • وفتنة تشاركه مشاعره وان تظاهرت بغير ذلك • والاستمتاع بمظاهر الحياة البراقة المحفوف بالضحكات الرنانة وقرع الأنخاب لا يغير من الحقيقة شيئا • وكلما زادت المجاملات الناعمة زاد الحذر والتوجس ، وتلوت فى مكامنها كالديدان • وقال لها مرزوق يوما :

ـ ها هو موسم التعاقدات انتهى ولم نظفر بعقد واحد !

فقالت باستهانة :

ـ ليكن عام اجازة •

وكان يقرأ قلبها ويسمع ما يقال فى الوسط فقال :

ـ لا يمكن أن تسير الأمور هكذا •

فقالت باصرار :

ـ فلتسر كما تشاء ٠

هذا عناد المعركة لا الحب ٠ ومن يدريني ان كان للحب وجود الا كقشرة لنواة المعركة الصلبة ٠ الشخص الذى أحبته لم يعد له وجود ٠ قال :

ـ لا يجوز أن ننتظر حتى نفلس معا ٠

ـ أنت كثير المخاوف ، والدنيا أفضل بكثير مما تتصور ٠

ـ أرجو ألا ترفضي عملا بسببي مستقبلا ٠٠

ـ حتى لو كان مع أحمد رضوان ؟

ـ ولو كان مع أحمد رضوان ٠

ـ ولكنني مصممة !

فهتف بيأس :

ـ انى أرفض ٠٠

ـ أتقبل أى دور ثانوى ؟

ـ لن يكون أفضل من الالتحاق بوظيفة عادية ٠

فانزعجت وقالت :

ـ صارحني بما فى قلبك ٠

ـ أو أن تعملى فى حقلك وأن أعمل فى حقلى الأول ٠

فأحاطت عنقه بذراعيها وقبلت خده وقالت :

ـ أنت ضحية حبى !

فقال وهو يدارى استياءه :

ـ لا مكان للعطف هنا !

فقالت بعتاب :

ـ ولكننى أحبك أولا وأخيرا •

فقبل خدها أيضا وقال :

ـ أصغى الى ، لقد لفظت نفسى الفن ••

فحولت وجهها عنه فى تأثر بالغ فقال :

ـ لم يعد يهمنى فى شىء •

وصمتت قليلا ثم قالت :

ـ ما يهم حقا هو حبنا !

ـ من الجنون أن نزحف اذا كان بوسعنا أن نحلق !

ـ ماذا تعنى ؟

فلم ينبس • أطبق فكيه فتجلت قسوته الكاذبة • قالت :

ـ ما أكثر وساوسك !

فابتسم وقال :

ـ حذار من العطف !

فهتفت بحدة :

ـ لا تردد هذه الكلمة !

ـ سمعا وطاعة ••

وهى تتنهد :

ــ ما أتعس المواقف التى ليس لها حل •

ــ ولكن لكل موقف مهما تعقد حلا •

ــ على حساب الكرامة أو السعادة أو الاثنين معا •

ــ هو خير من الجمود الذى يشل الارادة •

ــ لا أوافقك •

فقال بضجر :

ــ علينا أن نسلم بأن السعادة التى حلمنا بها لم تتحقــق كما حلمنا بها !

فصاحت بنبرة منذرة بالبكاء :

ــ أنت تهيننى !

ــ كلامى لا يتضمن أى اهانة •

ــ هذا ظنك !

فقال بأسف :

ــ أردنا أن نركب فى جسمنا المشترك جناحا فانقلب عكازا !

فقالت بحدة :

ــ ما أردت الا أن أتزوج من الرجل الذى أحبه •

فقبلها بطريقة آلية وقال :

ــ تقبلى اعتذارى •

ثم قام وهو يقول :

ـ سأتمشى فى الخارج قليلا ٠

ـ فى هذه الساعة من الليل ؟

فقال وهو يمضى :

ـ فى هذه الساعة يعتبر المشى دواء ٠

ـ ٣٦ ـ

كانوا يدخنون فى سكون الليل يظلهم صمت مريح ٠ حسنى حجازى يناجى الدخان الذى ينفثه بتمهل وانسجام : وعبده بدران يدخن سيجارة : كذلك عشماوى وهو قابع على كثب من دفء النصبة ، وفى الخارج ترامت أصوات المنشدين فى مولد سيدى البيومى ٠ وجاء بياع الفلافل يحمل رغيفا محشوا تتدلى من أطرافه بعض عيدان البقدونس فأعطاه لعشماوى ، ووقف ينتظر النقود والآخر يلتقطها من علبة صفيح ببصره الأعمش ٠ وفى فترة الانتظار قال له بياع الفلافل :

ـ تسلل رجالنا أمس الى خطوطهم فدمروها ٠٠

فهز عشماوى رأسه باعتزاز فعاد الرجل يقول :

ـ وسيعقب ذلك زحف الجيش !

فقال عشماوى وهو يعطيه القروش :

ـ ولا تنس هجمات طياراتنا ، جاء دورنا ..

ذهب الرجل راضيا . ومضى عشماوى يتنـــاول طعامه ويتمطق بصوت مسموع تخللته قرقرة النارجيلة . والتفت عشماوى نحو حسنى حجازى وقال :

ـ جاءوا له بعربة ذات ثلاث عجلات يقتعدها ويسيرها بيديه ولكنه لا يخرج بمفرده بعيدا ..

لم يدرك حسنى حجازى عمن يتحدث بادىء الأمر ، ثم تذكر حكاية جاره البطل الذى بترت ساقاه فقال :

ـ عظيم .. عظيم ..

وسأله عبده بدران :

ـ هل يمكن أن يتزوج يا عشماوى ؟

ـ يمكن ، علمت ذلك من جدته !

فقال حسنى حجازى :

ـ زوجه تكسب ثوابا ، الانسان يعتاد أى شىء ولكنه لا يطيق الوحدة ..

فقال عم عبده :

ـ ابراهيم يواجه الحياة بعزيمة ونجاح .

فقال عشماوى :

ـ انك متعلم وذلك ميزة كبيرة •

وبصراحته الخشنة راح يقارن بين العمى وفقد الساقين ثم تأوه قائلا :

ـ فى شبابى كنت اذا اخترقت طريقا يختفى اليهود من جوانبه ••

ولم يتمالك حسنى نفسه فضحك حتى سعل • وعادوا الى الصمت فترامى اليهم مرة أخرى صوت المنشدين • وهز عشماوى رأسه طربا وقال :

ـ كنت يوما من مريدى البيومى ••

فقال له عبده بدران :

ـ طول عمرك مجرم ولا شأن لك بالطريقة ••

فقهقه العجوز ولم يعلق • وأقبل عم عبده نحو حسنى حجازى كمن ضاق بسره ، وكان الأستاذ يحسن قراءة أفكاره فسأله عما وراءه فقال :

ـ عليات جاءها ابن الحلال ••

فأبدى الرجل سروره متمتما :

ـ حقاً !

ـ شاب موظف ، أخوه قاض كبير •

ـ على بركة الله •

وسكت الرجل متفكرا ومترددا ثم قال :

ـ قيل لي انه كان مسجونا !

فتساءل عشماوى :

ـ هل يوظف المساجين فى هذه الأيام ؟!

فاستدرك عم عبده قائلا :

ـ لأسباب سياسية ..

فقال حسنى مخاطبا عشماوى :

ـ انها لا تمس الشرف يا عشماوى ..

وقال عم عبده :

ـ وابرهيم موافق ، ولو كانت تمس الشرف لما وافق أبدا ..

فقال عشماوى :

ـ وأنا كنت مسجونا سياسيا مرة .

فقال عبده :

ـ مرة ! .. ثم عشرات المرات لا علاقة لها بالسياسة !

ـ ان أردت الحق فالمخدرات كالسياسة لا تمس الشرف !

ـ فلنسلم بذلك ، والضرب والاعتداء ؟

فقال بفخار :

ـ فتونة ومجدعة !

فهتف ضاحكا :

ـ عليك اللعنة !

فقال عشماوى وهو يضرب كفا على كف :

ـ ماذا جرى للدنيا ؟ ! ، نسوان عرايا فى الشوارع ، مساجين موظفون ، ويهود غزاة !

ورجعوا الى الصمت وسماع الأناشيد ..

- ٣٧ -

كانت عليات تعمل بالوزارة عندما زارتها ـ بلا سابق معرفة ـ احدى العاملات فى محل سمراء وجدى . أخبرتها أنها تعبت كثيرا قبل أن تعثر على مكانها ودعتها الى مقابلة سمراء فى محلها بشارع شريف . انقبض قلب عليات . انها لا تنسى فضل سمراء . وسبق أن زارتها فى المحل للشكر . ولاحظت أنها راغبة فى توثيق علاقتها بها بحرارة غير عادية وبأسلوب أثار فى نفسها الريب . لذلك لم تفكر فى زيارتها مرة أخرى . وانقبض قلبها ازاء دعوتها الجديدة ـ أنهـا حـزمة من المتناقضات ؛ فهى نبيلة المظهر مترفعة عن المال ولكنها ذات خبرة فاجرة وعلاقة حميمة بذلك الدكتور التى تشبه عيادته مشرحة الجثث . ومضت ذاك المساء الى حسنى حجازى

وقصت عيه قصه الدعوة وجمله وساوسها • وارتبك الرجل بادىء الأمر . ثم قال لها ببساطته المخيفة أحيانا :

ــ سمراء مغرمة بك !

ليس من الممكن أن تحمل قوله على محمل آخر رغم قابليته لأكثر من معنى فارتاعت حقا ؛ ولكنها تغابت وسألته

ــ ماذا تعنى ؟

ــ أنت تفهمين تماما ما أعنيه •

فقطبت وزمت شفتيها فسألها برقة :

ــ ألم تكن لك تجربة فى ذلك ؟

فقالت بتقزز :

ــ كلا •

ــ اذن ستنشأ متاعب !

فتمتمت بخوف :

ــ متاعب ؟ !

حدثها بايجاز عن تاريخ سمراء وجدى وحاضرها ثم قال :

ــ انها عالم من التعاسة والمغامرة والمتعة ••

فقالت بقلق :

ــ لن أذهب •

ثم بتوسل :

ــ أنت قادر على تجنيبى أى شر •

فقال لها بعطف :

ــ سأحاول ولكننى لست واثقا من النتيجة ..

ولم يتخل عن مسئوليته فدعا سمراء . قدم لها الشراب ممزوجا بمزاحه العذب وهى تراقبه طيله الوقت بنظرة ثاقبة من خلال أهدابها الطويلة . ثم قالت له بذكاء :

ــ ادخل فى الموضوع بلا لف !

فضحك عاليا وقال :

ــ صاحبتك ليست من أهل ذلك .

ــ لم تلبى دعوتى .

ــ جاءتنى أنا .

ــ صارحتها ؟

فقال برقة متوددة :

ــ ليست من أهل ذلك وهى شارعة فى الزواج فاصرفى عنها النظر !

فاجتاحتها موجة عاتية من الهياج وهتفت :

ــ الخنزيرة !

ــ سمراء !!

ــ انى اذا غضبت ؟

ــ لا داعى للغضب .

ــ دع تقدير ذلك لى أنا .

فداعب ذقنها بأصابعه وهو يسأل :

ـ وهل بالقوة يمارس الانسان ما لا يحب ؟

ـ الخنزيرة ، هل نسيت ؟

ـ سمراء . عليات عانت تجربة مريرة مثلك ، وهى شارعة الآن فى الزواج .

ـ لن تتزوج !

فهاله القرار وقال :

ـ لست قاسية ولا شريرة .

ـ اذن فأنت لم تعرفنى بعد .

ـ ولكن ماذا تنوين يا عزيزتى ؟

ـ سأطلع خطيبها على حقيقتها .

فهتف :

ـ لا .

ـ بلى .

ـ لا أصدق .

ـ سوف ترى .

فأسكتته الهزيمة مليا ثم قال :

ـ لقد تركت معذبك الأول يمرح بلا عقاب !

ـ كنت غرة .

وتحول حسنى عنها فى يأس ومضى نحو البار .

اختفى مرزوق أنور فلم يعثر له أحد على أثر • فعل فعلته واختفى • قضى على نفسه بحبس شبه انفرادى فى بنسيون بحلوان • ومن محبسه تابع أخباره فى المجلات الفنية • أخبار طريفة حقا • مرزوق يهرب من بيت الزوجية ويرسل الى فتنة ناصر وثيقة الطلاق ورسالة مؤثرة ، فتنة تنهار عصبيا ويعودها الأطباء ، فتنة تبحث عن مطلقها فى مظانه فلا تقف له على أثر • وتمضى فترة تخفت بعدها الأصوات وتنداح الحادثة فى خضم الحادثات • وتمضى فترة أخرى ثم ينشر خبر عن شبول فتنة العمل فى فيلم جديد من اخراج أحمد رضوان • وقال مرزوق لنفسه انه كالميت ولكن أتيح له ما لم يتح لميت من قبل وهو أن يشهد ما خلفه وراءه من وجود وعدم • وقال أيضا بأنه لم يكن أمامه الا احدى اثنتين ، فاما حياة كلب أمين أو قواد • ولما استقر كل شىء فى موضعه رجع الى أهله وقرر السعى الى الالتحاق بوظيفة •

وما تدرى عليات يوما — وهى فى مكتبها — الا وهو يفاجئها

بزيارة . تطلعت الى وجهه نصف دقيقه كأنما هى فى شك من عويته . جرحه ذلك حتى أدماه . وقال لها :

ــ لم يكن مفر من حضورى .

ولم تفهم مراده ، ووضح له أنها برمة بزيارته ، ولكنه قال :

ــ أود أن أعتذر لأستطيع مواصلة الحياة .

فتمالكت مشاعرها وقالت :

ــ لا أهمية لذلك .

جلس بدلا من أن يذهب وقال :

ــ فلنتناول غداءنا معا لأقول كلمتين .

فقالت ببرود :

ــ لا معنى لذلك ألبتة .

ــ انى مصر .

ولمست فيه حالة مخلخلة تقتضى الملاينة فوافقت . ذهبا الى الكورسال القديم فتناولا غداء بلا استطعام ثم طلب قهوة ، وأشار الى وجهه وهو يقول :

ــ هذا ما آل اليه حالى .

فمسحت بارادتها أى ظل للتعبير وتمتمت :

ــ سوء حظ حقا ولكن يمكن قهره والانتصار عليه .

ــ شكرا .

ــ لا داعى لليأس مطلقا ، تذكر مثال أخى ابراهيم .

فكرر شكرها • وشعر بمناعة تطوق روحها كالحصن فجعل يفكر صامتا ثم قال :

ـ لا شك أنك غاضبة على •

فقالت ببساطة صلبة :

ـ مضى ذلك وانقضى •

فقال باسما بسمة لا معنى لها :

ـ ذلك أدهى وأمر •

فلاذت بالصمت ، فقال :

ـ نرتكب أحيانا جرائم تحت سيطرة جنون لا معنى له •

فقالت معترضة :

ـ بل له معنى •

فقال بلهجة تعلمها من التمثيل ، رغم صدقه :

ـ قلت لنفسي لعل ما نالنى من عقاب يشفع لى فى الغفران •

ـ لا أدرى عم تتكلم •

فتردد مليا ثم تساءل :

ـ هل أطمع فى غفرانك ؟

ـ لا أدرى عم تسأل •

ـ لكنه واضح •

ـ لم يعد لذلك أهمية •

ـ ولكنه بالنسبة الى هو كل شىء •

ــ أكرر بأنه لم يعد لذلك أهمية •

فالتمعت عيناه ببريق أمل وقال :

ــ لعله يفتح لنا صفحة جديدة ؟

فقالت بحزم :

ــ أى صفحة جديدة ؟

ــ لكنك تفهمين قصدى تماما •

فقالت بنبرة قاطعة :

ــ لا تضيع وقتك سدى •

ــ أصغى الى ••

ــ أرفض مجرد التفكير فى ذلك •

ــ لننتظر حتى يهدأ غضبك •

ــ لست غاضبة . صدقنى ، ولكنى أستعد لصفحة جديدة أخرى •

وأرته دبلة خطوبتها ، فتمتم :

ــ حقا ؟

ــ سأتزوج فى وقت قريب •

وساد الصمت حتى تساءل :

ــ أهو رأى نهائى ؟

وقامت وهى تقول :

ــ آن لى أن أذهب •

ومضت وحدها • وجدت فى قلبها ارتياحا شاملا وشعورا بالتحرر والنصر • ومن أمارات التوفيق أنها لم تضمر نحوه كراهية ولا حنقا ولا شماتة فقالت لنفسها : مات تماما فما أعجب ذلك •

- ٣٩ -

كانت عليات تجالس حامد فى دار الشاى الهندى واذا بسمراء وجدى تظهر فجأة فتقف عند طرف المنضدة بينهما • بهتت عليات واختفى الدم من وجهها • ودهش حامد وجعل يردد عينيه بينهما وهو لا يفهم شيئا • وهم بالكلام ولكنها سبقته فقالت مخاطبة عليات ورائحة خمر تتردد مع أنفاسها :

ــ أنا عنيدة كما ترين ••

فتساءل حامد :

ــ ما الخبر ؟

فقالت له سمراء :

ــ ادعنى أولا الجلوس كما يقضى الذوق •

ورأى فى موقف المرأة خطرا خفيا يهدد سلامتهما فقال :

ـ ولكنى لم أتشرف بمعرفتك •

فجلست وهى تقول متحدية :

ـ ها أنا أجلس بلا استئذان •

وضحكت ضحكة تعتبر مزعجه فى وقار السكون فقال حامد :

ـ تصرف حضرتك غير لائق ••

فقالت ساخرة :

ـ ولكن خطيبتك تعرفنى وقد جئت لأشكوها اليك •

فقال متأثرا بتضعضع عليات :

ـ ما زلت أعتبر تصرفك غير لائق •

فتجاهلت احتجاجه وقالت :

ـ أشكو اليك فتاتك فقد قدمت لها خدمة لا تقدر بمال فلم أنل منها الا الجحود ••

همت عليات بصفعها ولكنها خافت من تفجر مضاعفات مجهولة ، جبنت فعجزت حتى عن الكلام وتساءل حامد بغضب :

ـ ماذا تريدين ؟

فقالت سمراء بتحد فاجر :

ـ نتكلم أولا عن الخدمة وسأترك لك تقدير الثمن •

تمتمت عليات :

ـ مجرمة ، أنت مجرمة ••

فضحكت سمراء بقسوة وقالت :

ـ الله يسامحك •

فقال حامد بحنق :

ـ من فضلك ، أنا لا أسمح •

فقاطعته بقحة :

ـ تصور فتاة من أسرة شعبية ، اضطربت أحشاؤها بجنين سهوا وهى ••••

فقاطعها بغضب :

ـ اذهبى من فضلك •

فواصلت حديثها :

ـ كيف تتصور بؤسها ؟ ! ، وكيف تقدر صنيع من يخلصها من الجنين ويرد اليها شرفها •

وجعل حامد يشير اليها بأصبعه مهددا وقد أعجزته انفعالاته عن النطق ، ثم قال :

ـ من الأفضل لك أن تذهبى ••

ـ تهددنى ؟

ـ نعم •

فسألت عليات متهكمة :

ـ ما رأيك يا عليات ؟

لم تتبس عليات ٠ وغلب الغضب والانفعال حامد فخرس ٠ واربد وجهه بألوان قاتمة ٠

وضح أن عاصفة عاتيه اجتاحته ٠ وآمنت سمراء بأنها أصابت الهدف وأنها أنهت مهمتها على خير وجه ٠ وهمت بالقيام تحت تأثير خوف طارىء ٠ ولكن حامد اجتاز أزمته ٠ كبح انفعالاته ٠ مرق منها باردا صلبا عنيدا ٠ سأل المرأة :

ــ أأنت التى قمت بتلك الخدمة ؟

فهزت رأسها بالايجاب فسألها متحديا ٠

ــ لعليات ؟

فهزت رأسها مرة أخرى ؛ فقال وقد سيطر على أعصابه تماما :

ــ أنا مدين لك بالشكر ، أى ثمن تطلبين ؟

فتفحصته باهتمام لترى لأى درجة هو جاد أو غاضب ، فعاد يسألها بهدوء :

ــ ماذا تطلبين ٠

فداخلها اضطراب وحيرة فقال :

ــ يبدو أنك لا تريدين شيئا ، وعلى ذلك فأرجو أن تخلى لنا الجو لنواصل حديثنا !

وقامت متعثرة بالحيرة ثم مضت فى عصبية ٠

أسندت عليات رأسها الى يدها وأغمضت عينيها فى اعياء

موشكة على الانهيار الكامل ٠

ونظر اليها فى صمت وحزن ٠ وشعر بالعاصفه فى قلبها فمال نحوها بعطف وقال :

ــ أقترح أن نسير فى الهواء الطلق ٠

رفعت رأسها وقالت باستسلام يائس :

ــ حامد ٠٠

فقاطعها بلطف :

ــ لا داعى للكلام ، نحن فى حاجة الى الهواء الطلق ٠

ــ ٤٠ ــ

كان حسني حجازى يعانى قلقا فى باطنه بخلاف عادته فى مجلس الليل الهادىء بالانشراح ٠ أطلق كامن قلقه فى النارجيلة فمضى يأخذ أنفاسا متتابعة حتى اشتعلت الجمرات واحترق التبغ نافثا رائحة فظة ٠ وتوقع طيلة الوقت أن يروح عم عبده بدران عن حزنه فيعلنه بفسخ خطوبة عليات ٠ وها هو يقف مستندا الى غطاء الجدار الخشبى ، يدخن سيجارة ، ونظرته الثقيلة المعتمة ثابتة كأنه موشك على النعاس ٠ لعله يتحين الفرصة ليبوح بهمه ، وعند ذاك سيجد هو نفسه فى صميم مأساة لأول

مرة • وكان عشماوى مقرفصا قرب النصبة • لا يثرثر كعادته ، لوعكة برد ألمت به ، فبدا كعجوز يحتضر • وتجنب النظر ناحية عم عبده • وشم الرجل رائحة التبغ المحترق فاقترب قائلا :

ـ هل أبلل لك التبغ ؟

فانتبه حسنى لمعاملته العصبية للنارجيلة وقال له :

ـ غيره ••

ومضى الرجل بالنارجيلة فجدد التبغ ثم رجع بها بتبغ جديد كسبيكة ذهبية • وقال :

ـ زارنا مرزوق أنور مع سنية وابراهيم !

فأنس حسنى خيرا وقال بحماس مفاجىء :

ـ يا له من جرىء !

ـ واعتذر ، وهنأنى على خطوبة عليات الجديدة •

ـ المسامح كريم •

ـ وجد وظيفة فى موسسة النقل وسيكمل تعليمه للحصول على شهادة بعد الليسانس •

فقال حسنى وهو بوغل فى الارتياح :

ـ جميل أن يجدد الانسان حياته ••

ـ وأصبح أمله الأول والأخير أن تتاح له الهجرة يوما ما •

ـ الهجرة موضة هذه الأيام الغريبة •

وقال لنفسه ان عليات بخير • وأن سهم سمراء قد طاش •

وشعر بامتنان نحو العقليات التى تتجدد وتتجاوز الزمن • وتشجع فسأله :

ـــ وما أخبار عروستنا ؟

فقال عم عبده :

ـــ الخطيب يرغب فى الزواج فى أقرب فرصة •

ـــ على خيرة الله !

فقال الرجل بأسف :

ـــ لا أستطيع أن أقدم لها شيئا ذا بال •

ـــ لا أهمية لذلك •

وترامت اليه حركة عند الباب • التفت فرأى سمراء وجدى واقفة كتمثال • نظر اليها عم عبده أيضا بدهشة • ورفع عشماوى رأسه وضيق عينيه ثم فغر فاه • ارتج قلب حسنى وقف شعره • وتمتم وهو لا يدرى :

ـــ غير معقول !

ألقت عليه نظرة باردة مهددة ثم حولت عنه رأسها بتحد • نظرت الى عم عبده بدران وتساءلت :

ـــ عم عبده بدران ؟

ذهل الرجل • أقبل نحوها ملبيا فى أدب ، ومتأثرا غاية التأثر بمظهرها الأنيق الفاخر ، ثم قال :

ـــ أفندم ؟

مضت الى ركن المقهى الأقصى فتبعها على الفور • شدت اليها الأبصار • خمن حسنى حجازى ما وراء مجيئها بفزع • وتذكر وهو يختنق أنها استدلت على المكان بارشاداته التى وردت ضمن حديثه بلا قصد • انه محور الرحى التى تطحن مجموعة من البشر لم يكن لها طيلة حياته الا المودة • وثمة شر يوشك أن يحيق بالجميع ولكن بأى حكمة يمكن دفعه ؟ • التدخل من ناحيته يعنى افتضاح أمره ، وسيؤدى فى النهاية الى هتك الستر عن البيت السحرى • ولكن ينتفى الخطر اذا التزم بموقف المشاهد ؟ ! ، وتملص من الشلل أو هكذا خيل اليه • فتح فاه وقال محذرا :

ــ انها امرأة مجنونة ومخمورة !

ولكن أحدا لم يسمعه • لم يخرج الصوت من فيه • خذلته قواه فاعتواه العجز • لم تتحول عيناه عنهما • أرهف السمع ولكنه لم يسمع حرفا مما يقال • المرأة تهمس والرجل يصغى باهتمام شديد • وعشماوى ينظر ويصغى ولكن دون جدوى • وتأرجح المجلس بحسنى حجازى وغاص فى باطن الأرض • وطار عشه السحرى فى الهواء على أجنحة الزبانية • ركز بصره على وجه عم عبده بدران • ها هو يصغى وتتحرك شفتاه أحيانا • وها هى نظرته الثقيلة تزداد قتامة • ها هو يقطب ويجتاح وجهه موجة سوداء • تراجع رأسه الى الوراء كأنما

تلقى لكمة ثقيلة • سقطت السيجارة من يده • قدحت عيناه شررا • ندت عنه آهة ذبيحة محشرجة • ترنح كالثمل • وفجأة انقض على المرأة يقبض على عنقها بكلتا يديه وشد عليها بكل قوته • وفزع حسنى فصاح :

ــ لا ••

قام كالمجنون فارتطمت ركبته بالنارجيلة فألقت بها على الأرض وقام عشماوى وهو يتساءل :

ــ ماذا جرى !

هرعا نحو الرجل وحسنى يتوسل اليه :

ــ أنتبه لنفسك يا عم عبده ••

ولكن الرجل لم يفك قبضته الفولاذيتين حتى كانت المرأة جثة هامدة ••

- ٤١ -

ـ هل خنقت هذه المرأة ؟

ـ نعم .

ـ لماذا خنقتها ؟

ـ ......

ـ لماذا خنقتها ؟

ـ ......

ـ ما علاقتك بها ؟

ـ لا أعرفها .

ـ أتقول انك لا تعرفها ؟

ـ لم أرها قبل هذه الساعة المشئومة .

ـ فلماذا خنقتها ؟

ـ ......

ـ خنقتها بلا سبب ؟

ـ ......

ـ ماذا قالت لك ؟

ـ ••••••

ـ الصمت معناه أنك تجود بعنقك لحبل المشنقة •

ـ ••••••

وأصر عم عبده بدران على الصمت •

ومن خلال شهادة عشماوى تجسدت صورة لظهور سمراء المفاجىء • وتطلعها الى عم عبده بدران وهى تتساءل « عم عبده بدران ؟ » وقول الأستاذ حسنى حجازى « غير معقول » ، ثم ذهاب المرأة وعم عبده الى الركن الأقصى ، وحديثهما الذى لم يسمع منه حرف ، ثم الجريمة التى لم يستطع منعها أحد •

ـ أنادت عم عبده أم تساءلت عنه ؟

ـ نظرت اليه وتساءلت « عم عبده بدران » ؟

ـ اذن فلم تكن تعرفه ؟

ـ هو ذلك والله أعلم •

ـ أليس لديك فكرة عن كيفية مجيئها اليه ؟

ـ كلا •

ـ ولا عما دار بينهما من حديث ؟

ـ لم أسمع حرفا •

ـ ما مدى علمك عن علاقات صاحبك بالنساء ؟

ـ أستغفر الله ، انه رجل طيب محمود السيرة ومسكين ••

ـ كيف تفسر ارتكابه للجريمة ؟

ـ لا أدرى ، انه لم يقتل دجاجة فى حياته ، والعلم عند الله •

ـ لم قال الأستاذ حسنى حجازى « غير معقول » ؟

ـ لا أدرى ، ولكن مجىء امرأة جميلة الى الانشراح بعد منتصف الليل أمر غير معقول •

ـ لعله كان يعرفها من قبل ؟

ـ لم يتبادلا كلمة واحدة والعلم عند ربك •

ولم تأت شهادة الأستاذ حسنى حجازى بجديد عن مضمون الحادثة • وقد سأله المحقق :

ـ لم قلت « غير معقول » ؟

ـ كان مجيئها الى الانشراح فى تلك الساعة غير معقول •

ـ ألم ترها من قبل ؟

ـ بلى ، أعرفها معرفة عامة فهى صاحبة محل تجارى فى الشارع الذى أسكن فيه •

ـ هل لك أن تحدد لى نوع معرفتك بها ؟

ـ معرفة عابرة ليس الا •

ـ ولكنكما لم تتبادلا ولا تحية عابرة ؟

ـ توقعت ذلك ولكنها تجاهلتنى تماما •

ـ ما تفسير ذلك فى نظرك ؟

ـ لعلها كانت مستغرقة بالمهمة التى ساقتها الى المقهى •

ـــ وماذا تعرف عما كان بينها وبين عم عبده ؟
ـــ لا شيء ألبتة •
ـــ وماذا دار بينهما ؟
ـــ لم أسمع حرفا •
ـــ ما تفسيرك للجريمة ؟
ـــ انها مذهلة ولا تفسير لها عندى •
ـــ ما هى معلوماتك عن القتيل ؟
ـــ لا علم لى بدخائلها •
ـــ ما تفسيرك لصمت المتهم ؟
ـــ انه لغز ولا تفسير له عندى •

— ٤٢ —

رجال الشرطة شياطين • وهم يملكون جحيم الأرض وينفثون النيران فى الوجوه الشاحبة • يطرقون الأبواب بأيد أليفة كالأحباب ثم يفتحون البيوت كالأعاصير • ويقف الكهل بين أيديهم مجردا من الكرامة فيفترس الخوف قلبه ويوقن بأن الحياة وهم وضياع • وينقبون الجدران والحشيات والجيوب والخزائن فتتلاشى المسرات والأخيلة • عند ذاك يسير بينهم بلا أرجل ،

بلا أعين ، بلا غد ، تطن فى أذنيه همهمة مغلفة باللعنات ، وأن يتبقى له رمق فسيردد بصوت محشرج : لقد انتهيت •

ـ اسمك ؟

ـ حسنى حجازى •

ـ عمرك ؟

ـ خمسون عاما •

ـ مهنتك ؟

ـ مصور سينمائى •

ـ أتعترف بأنك مالك هذه الأشرطة السينمائية ؟

ـ أجل •

ـ وأنك عرضتها على عشرات من البنات القاصرات ؟

ـ أجل •

ـ وأنك مارست معهن الجنس •

ـ أجل •

ـ ألا زلت عند قولك عن علاقتك العابرة بسمراء وجدى ؟

ـ كلا ، أعترف بأنها كانت صديقة قديمة •

ـ أكانت تجيئك بالبنات لمشاهدة أفلامك الجنسية ؟

ـ أجل •

ـ وما علاقتك بعليات ابنة المتهم عبده بدران ؟

ـ كانت صديقة •

ـ ألم تكن يوما عشيقتك أيضا ؟

ـ بلى •

ـ أتعترف بأنك يسرت لها الاجهاض ؟

ـ بلى •

ـ كيف ؟

ـ استعنت بسمراء وجدى •

ـ وهل اعترفت لك سمراء بأنها عشقت عليات ؟

ـ نعم •

ـ هل استعانت بك لتحقيق رغبتها الآثمة ؟

ـ نعم ولكنى حاولت صرفها عنها •

ـ أأرشدتها الى مكان عم عبده بدران ؟

ـ سألتنى عن مكان عملها فقلت لها انى أجهله بالتحديد وان كنت أعرف أنها موظفة بالشـــئون ، وقلت لها أيضا ان علاقتها بى منقطعة تقريبا وأننى لا أعرف أخبارها الا عرضا وفى مقهى الانشراح حيث يعمل والدها نادلا به ، ولم أكن أتصور أنها ستقوم بزيارتها الغريبة التى انتهت بمصرعها •

ـ ولم قامت بزيارتها الغريبة ؟

ـ كانت مصممة على الانتقام من عليات لعدم اذعانها لرغبتها الآثمة ، فانقضت عليها وهى جالسة مع خطيبها وأخبرته على مسمع منها بحكاية الاجهاض ، ولما خاب المسعى ولم يصب

الهدف ، أعادت التجربة مع الأب فقتلها ٠

ـــ أتعتقــد أن ذلك هو البــاعث الحقيقى وراء جريمة عم عبده ؟

ـــ ولا باعث غيره فى رأيى ٠

ـــ ألديك أقوال أخرى ؟

ـــ كلا ٠

كان حسنى حجازى ينطلق بسيارته فى أطراف المدينة عند الفجر ٠ توقدت أعصابه فقضت على أى أمل فى النـــوم ٠ وطاردته أشباح التخيلات طيلة الوقت ٠ ستجرى التحريات حول سمراء وجدى وستكتشف عاجلا عن عالم حافل بالجنون والغرائب ٠ انه خبير بهذه الأمور ٠ سرعان ما يعرف كل شيء ٠ وسيجر التحقيق العشرات من البنات والفتيات ٠ وقريبــا تجتاح العاصفة العاتية عشه السحرى السعيد ويكبله القيد الحديدى ٠ ماذا يوجد فى بيت سمراء وجدى من صور وأرقام تليفونات وأسماء ، ترى هل تدون مغامراتها فى مذكرات ؟ ٠ هل يدعى الى التحقيق ؟ ٠ هل يزج به فى السجن ؟ ٠ هل ينتحر ؟ هل من مخرج ؟ ٠

– ٤٣ –

اجتمعت عنيات وحامد فى دار الشاى الهندى . كانت منهوكة الأعصاب دامية العينين . واستمان هو بقواه الكامنة ليواجه الموقف ولكنه كان يعيش بوجدانه فى جو ملىء بالمخاوف المجهولة . وجعلت تردد :

ـ أبى .. أبى .. يجب انقاذه .

ـ هذا هو المأمول حقا ولكن كيف ؟ .

قالت مصممة :

ـ بأى ثمن .

ـ سنبذل ما نستطيع وفوق ما نستطيع .

ـ نحن نعرف كل شىء .

ـ أجل .. وهو مصر على الصمت صونا لسمعتك .

فقالت وهى تكتم انتحابها :

ـ لن أتخلى عنه .

ـ لن نتركه لينال عقوبة رهيبة لا يستحقها ..

فرنت اليه بنظرة دامعة وقالت :

ـ ذاك يعنى أن نشهد بما نعلم •

ـ لا مفر من ذلك •

ـ ولكن هل يصدقوننا ؟

ـ من رأيى أن نعهد بالقضية الى الأستاذ حسن حمودة وأن نشاوره فى الأمر قبل أن ندلى بشهادتنا •

ـ طيب •

ـ فالطريق واضح •

فعضت على شفتيها وتمتمت :

ـ سيعلن السر على الملأ •

ـ أجل •

ـ وستنشأ مصاعب ومتاعب •

فقال باشفاق :

ـ ربما •

ـ انى أضحى لانقاذ أبى ولكنى سأجرك معى ••

فقال محتجا :

ـ لا أوافق على طريقتك فى التفكير •

ـ الحق أنى لا أريد أن أحملك فوق ما تستطيع •

وكان قلبه ينقبض حيال العواقب المتوقعة ولكنه قال :

ـ هذا شأنى أنا •

فقالت وهى تخفض رأسها :

ـ أنت فى حل من ...

فقاطعها بحزم :

ـ عليات ! ، ما هذا الهراء !

استجمع ارادته ليسحق تردده . غاص قلبه فى هاوية . سخر من مخاوفه واحتقرها .

قذف بنفسه فى تصميم صلب . قال :

ـ لن أتخلى عنك .

ـ ٤٤ ـ

لأول مرة تغرق الحجرة فى كآبة شاملة . وكان حسنى حجازى وعليات يجلسان متقابلين ومتقاربين يتبادلان نظرات جافة باردة كنظرات أصنام الآلهة والحيوانات فوق الأرفف . ولأول مرة تتخلى عن الرجل روح الدعابة والشمول فتطحنه أشياء مجهولة تطبق على الحجرة من عالم مجهول . قال لها :

ـ سألت عنك فى كل مكان .

فقالت بنبرات ميتة :

ـ كنت قادمة بنفسى على أى حال .

نفذت اجابتها الى أعماق روحه فقال بقلق :

ــ دائما فى خدمتك •

ــ نصحت أن أوكل الأستاذ حسن حمودة المحامى •

فضغط حسنى على جناحى أنفه بأصبعيه متأملا ولكنه قال :

ــ انه حجة فى الجنايات !

فانخفض صوتها قليلا وهى تقول :

ــ يقال ان أتعابه باهظة !

فتنهد بارتياح وقال :

ــ ستجدين تحت أمرك كل ما يلزمك •

ــ لا أدرى كيف أشكرك •

فتناول يدها بين يديه وتساءل :

ــ عليات ، ألم أكن دائما نعم الصديق ؟

فأحنت رأسها بالايجاب • انحدرت من عينيهــا دمعة فاستقرت فوق ركبتها • قال :

ــ لى عندك رجاء •

ــ ما هو ؟

فسكت دقيقة كاملة ثم قال :

ــ ألا تذكرى اسمى سواء عند المحامى أم فى التحقيق ••

فقالت وهى تجفف عينيها :

ـ لا أهمية لذلك فيما أظن ؟

فقال وبهجة من الأمل تشيع فى نفسه :

ـ عين الصواب ، فهو لن يقدم فائدة ولكنه سيضرنى كما تعلمين .

ـ لن أفعل ما يضرك .

ـ شكرا ، ممكن أن تقولى انك عرفت سمراء فى محلها التجارى . وأنها حاولت أن تنشىء معك علاقة شاذة فرفضت ، ومن ثم أرادت أن تنتقم منك الخ .. الخ .

ـ هى الحقيقة فى جوهرها .

فقبل يدها وقال :

ـ توكلى على الله ولا تحملى للنقود هما .

ولمدة دقائق ـ عقب ذهابها ـ شعر بأن الهم قد انجاب عن قلبه وبأن تيار الحياة يتدفق من قلبه نشيطا مهللا . أنجوت حقا ؟ . ان أكن نجوت فلن يمسسنى الضر مدى الحياة . ولكن لم تدم تلك الحال طويلا . وئدت بلا انذار . عاد عقله يعمل ويفرز سمومه المنطقية . ما أهمية وعد عليات ؟ . وما قدرتها على الافلات من حصار الاستجوابات ؟ . وهل تجدى شهادتها ان لم تدعم بشاهد عيان مثله كان محور الأحداث ومحركها ؟. وهناك أيضا التحريات التى تنشط فى كل مكان الآن مثل

الذئاب الجائعة .. لا .. لا .. لا أمان . عليه أن يهرب . فى أول فرصة . ثمة وعد سابق بتصوير فيلم لبنانى فليطلب السفر فورا وقبيل أن يذكر اسمه فى التحقيق . سيستقر فى لبنان الى الأبد . لا حياة له فى هذا البلد .

الوداع يا مصر ..

— ٤٥ —

يا لها من مفاجأة . أحق تقع هذه الأمور فى الحياة ؟. وأن يدعى — هو — للدفاع عن قاتل سمراء وجدى ؟. نقل بصره بين عليات وحامد مخفيا انفعالاته وراء قناع بارد من التجرد . وقال :

— قرأت ما نشر عن الجريمة فى الصحف ففكرت طويلا فى سر صمت المتهم .

فقال حامد :

— نحن نعرف الأسرار كلها .

فقال الأستاذ بعجلة :

— معذرة ، احتفظ بها ، فاننى لم أقبل القضية بعد .

فقالت عليات :

ــ ولكنك ستقبلها طبعا ؟

آه • سمراء وجدى • ترى لم قتلها الرجل • لفضيحة ما ولا شك • وسوف يقتضى الدفاع عنه النبش فى ماضى الفتاة والكشف عن فضائحها والتشهير بها فهل يقوم هو بذلك ؟• وهل يستبعد فى تلك الحال أن بنبرى شخص مجهول لهتك سره المنطوى وتعرية الدور الفاضح الذى لعبه فى حياة الفتاة ؟

ولم يتردد فأجاب :

ــ آسف يا آنسة ، لا وقت عندى ألبتة ••

فهتفت عليات :

ــ ولكنك لن تتخلى عنا ؟

ــ الأمانة تقتضى أن أتخلى ولكنى سأعهد بها الى زميل معروف لا يختلف فى تقديره اثنان !

ــ ولكننا قصدناك أنت !

فقال بلهجة مؤدبة ولكن نهائية :

ــ الأمانة وحدها التى تمنعنى •

وهمت عليات بالكلام فمال حامد نحوها قائلا :

ــ علينا أن نصدقه ونشكره ، ان هى الا عثرات فى الطريق ولكنه بات ممهداً لما نأمله ••

ولدى انفراد حسن حمودة بنفسه تمزق قناع الهدوء الذى

تخفى خلفه • غاص فى مقعده وراح ينظر الى السقف الأبيض بعينين ذاهلتين • لاحت له مخاوف غريبة كأشباح راقصة • وركبه احساس لا معقول بأنه مطارد • ووثب من مجلسه كأنما هو المسئول عن ضعفه وراح يتمشى فى الغرفة ويقول بصوت مرتفع ليطرد الأشباح :

ــ محض أوهام ، تاريخ ميت ، الميت لا يبعث !

وكره الوحدة فغادر المكتب • استقل سيارته وجرى بها على غير هدى ساعة ثم هفا قلبه الى لقاء صفوت مرجان فوجهها الى شارع أحمد شوقى بلا ميعاد سابق • وجد الأستاذ منفردا فى الفراندا بشخص غريب لم يره من قبل • هم بالانصراف ولكن صفوت دعاه الى الجلوس فجلس وهو يسائل نفسه متى يستطيع أن يروح عن صدره ويفضى بانفعالاته الى صديقه • وقام صفوت بالتعارف بين الرجلين • وقدم الغريب قائلا :

ــ أبو النصر الكبير من رجال المقاومة الفسطينية •

فانفجر فى صدر حسن حمودة بركان من اللعنات • لم يكن من الذوق أن ينصرف فبقى على رغمه وهو يتلظى • وقال له صفوت :

ــ طبعا سمعت بقبولنا المبادرة الأمريكية ؟

فأجاب بفتور :

ــ أجل •

ـ كنا نناقشها •

فقال بلا مبالاة :

ـ معذرة ، سأشرب كأسا لاىى مرهق •

أما أبو النصر الكبير فقال يواصل حديثه الذى قطعه مقدم حسن حمودة :

ـ ولكن للمسألة وجها آخر ، فالقضية ممتدة فى الزمن وليست بقضية هذا الجيل وحده ، ولا بأس أن يتقرر فى لحظة زمانية ولضرورة أقوى منا مؤقتنا التضحية بمجموعة باسلة من العرب فى سبيل صالح العرب ككل ، ولكن الكلمة النهائية ستظل سرا مقدســا فى طوايا الغيب ، كما سيظل ميلادها رهنا بالارادة ، فاما نموت موتا غير مأسوف علينا ، واما نحيا حياة كريمة كما ينبغى لنا ••

تدفق الكلام من فيه هادرا كالموج •

وتابعه حسن حمودة بأعصاب متوترة ، عيناه مغمضتان ، وكأسه فى قبضته لم يبق بها الا ثمالة •

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٥٤٥٧
الترقيم الدولى ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الشمن ٤٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه